وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كليَّة الآداب واللُّغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل(ط1): 20222299478650

رقم التسجيل(ط2): 2222063102530

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر LMD، تخصص: أدب جزائري

بعنوان:

فنيات السرد وجماليات التلقي في رواية "فيض وجع وحنين" لسليمة رقيق

إعداد الطالبتين:

- سليماني رزيقة
- زقيليش فاطمة

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	عبد العزيز بوشلالق	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	رئيسًا
2	جادي عمر	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	مشرفًا ومقررًا
3	بولنوار بوديسة	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	ممتحنًا

السَّنة الدِّراسيَّة: 1445/1444هـ.2024/2023م.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمـة شكـر و تـقـديـر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ 14 لقمان

في البداية نحمد الله تعالى و نشكره على توفيقه لنا في انجاز هذا العمل المتواضع راجين منه أن يجعله في ميزان حسناتنا.

و بالمناسبة نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتنا الكرام على ما منحونا من معلومات طوال ست سنوات من بينهم الأستاذ المشرف: "دكتور عمر جادي " الذي لم يبخل علينا بالتوجيهات و الإرشادات. و كل عمال المكتبـة والمكتبة المركزية.

و إلى كل من علمنا حرفا منذ صغـرنا حتى كبرنا وإلى الدكتور دفاف لحسن

و لكل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد في انجاز هذا العمل ولو بكلمة طيبة.

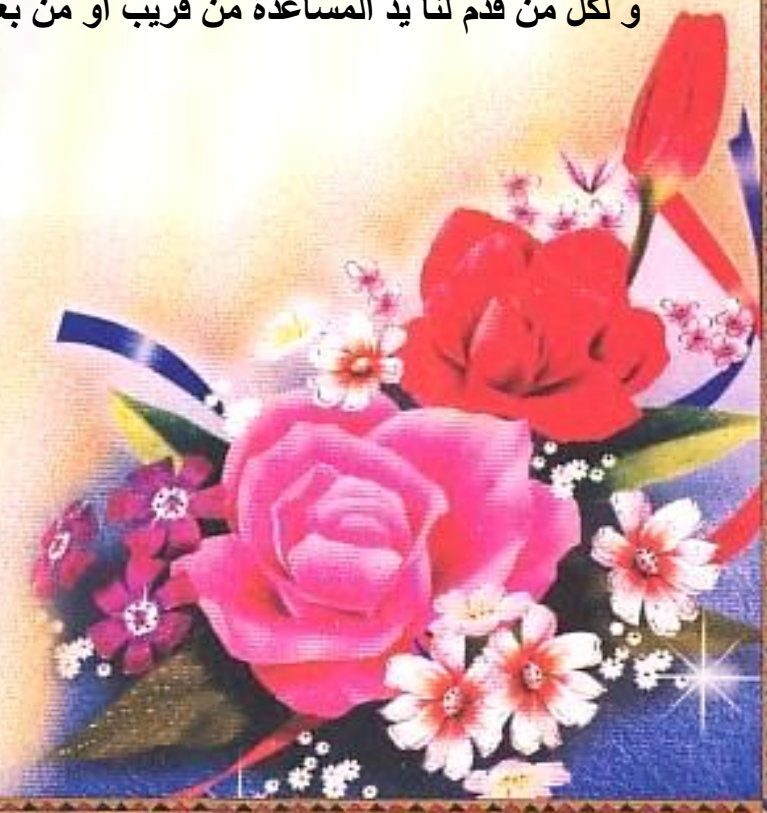

إهـداء

اهدي هذا العمل المتواضع

إلى ....

إلى روح أبي الطاهرة رحمة الله عليه

من لم احمل اسمه ونعتز ونفتخر به إلى من كان سندنا وقوتنا وملاذنا بعد الله الى والدي اسأل الله أن يحفظه

إلى ...

ينبوع الصبر والتفاؤل الأمل إلى التي جعلت الجنة تحت أقدامها ريحانة حياتي وبهجتي أمي العزيزة

أسأل الله أن يحفظها لي

إلى من علموني علم الحياة إلى إخوتي كل باسمه

إلى كل الأقارب والأهل

إلى ... زوجي العزيز حفظه الله وأطال عمره الذي كان لي سندا وعونا

كل من ذكرهم قلبي ونسيهم قلمي من دون أن انسي زملاء الدفعة سنة ثانية ماستر أدب جزائري

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي

سليماني رزيقة

إهـداء

إلى روح أبي الطاهرة رحمة الله عليه

أهدي ثمرة جهد هذا إلى أعز وإلى إنسانة في حياتي

أمي الغاليـــــــــة

إلى زوجي العزيز

إلى إخواني وأختي العزيزة إلى أبنائي

أسيل– إبراهيم– سيرين

إلى من علموني علم الحياة إلى إخوتي كل باسمه

إلى كل الأقارب والأهل

إلى زميلتي في العمل سليماني رزيقة

إلى كل الأشخاص الذين أحمل لهم المحبة والتقدير

إلى كل نسيه القلم وحفظه القلب

زقيليش فاطمة

مقدمة

مقدمة:

شهدت الرواية في الآونة الأخيرة انتشارا كبيرا على مستوى الساحة الأدبية، مما بوأها لاحتلال مكانة مرموقة بين سائر الأجناس الأدبية الأخرى، تستهوي النقاد والدارسين، والفضل في ذلك، قدرتها على التأثير في المتلقي، فهي بمثابة المرآة العاكسة للواقع وقضاياه، فهي تساير التطور الفكري والأدبي للإنسان، والرواية فن نثري يقوم كيانها على البنيات السردية باعتبارها ركيزة كل عمل روائي.

تعد البنية السردية والفنية وجماليات التلقي من المفاهيم الأدبية، التي برزت في السنوات الأخيرة على الساحة النقدية، لتتلقاها الأقلام بالدراسة والتحليل والترجمة والتعريب، فنجد هذه المفاهيم في نقدنا العربي تواجه العديد من التشابك والتعقيد لطبيعتها، فمفاهيمها تتباين من ناقد لآخر، ومن ثقافة لأخرى، وحتى من زمن لآخر، وعلى الرغم من الاختلاف يتفق جل النّقاد على فكرة جوهرية، وهي أن للمتلقي دورا أساسيا في كل عمل فني أدبي، فهو يكسبه ذوقا وحسا فنيا، دافعه إلى ذلك التأثر والتأثير بالنص، ومن هنا تكمن الجدة في هذه الدراسة، حيث نتناول جملة المفاهيم المتعلقة بالنص السردي نظريا وتطبيقيا حول نموذج محلي ناشئ تمثل في عمل روائي بعنوان: "فيض وجع وحنين «للمؤلفة "سليمة رقيق" دراسة تحليلية حول مجموعة من العناصر المشكلة للنص الروائي.

أما الدافع لاختيار هذا الموضوع بالذات، هو تسليط الضوء الواقع الضبابي والمجهول نوعا ما، لدى الناس عن بعض المناطق في الوطن، وكذا ربط الحاضر بالماضي، ومعاناة الأجداد وتشرذمهم عبر ربوع الوطن، بحثا عن العيش الكريم، وكذا استجابة لرغبة جامحة تراودنا في البحث عن عمل فني لم يتم تناوله من قبل، فكان لنا ذلك.

حاولنا في هذا البحث الإجابة عن الإشكالية التالية وهي:

ما نوع العلاقة التي تجمع بين المؤلف والنص والمتلقي؟ هل هي كل متكامل أو أن كل عنصر يمثل نفسه؟ ما مدى التناغم الحاصل بين الأقطاب الثلاثة للإشكالية؟

- كيف يؤثر النص في المتلقي؟
- كيف يترجم المتلقي كلمات النص إلى مشاعر وأحاسيس؟
- كيف يتناغم النص والمتلقي مع المؤلف في وحدة لا يمكن أن تتجزأ؟ وكأنه يكتب ذاته.
- كيف أن المؤلف يستحضر الماضي فيترجم الواقع إلى مشاعر، ينقلها بدوره إلى شعور متدفق لدى المتلقي؟

ولإنجاز هذا البحث عمدنا إلى صياغة خطة، افتتحناها بمقدمة يليها فصلان مقسمان وخاتمة بالإضافة إلى الملاحق.

* الفصل الأول: دراسة نظرية حول: السرد الفني وجماليات التلقي.

* الفصل الثاني والمعنون ب: دراسة تطبيقية للرواية من حيث: –الزمان –المكان– الشخصيات–الحدث–اللغة–مالم تقله المؤلفة في الرواية، وذلك بعد محادثة نصية "ماسنجر" وتدوين ما جاء فيها بموافقة المؤلفة.

وإذا كان لكل بحث منهج يتكئ عليه، فقد اقتضت طبيعة الدراسة المنهج التحليلي الوصفي، الذي يعتبر الأنسب لموضوع الرسالة.

*خاتمة كانت بمثابة حوصلة جمعنا فيها مختلف النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وقد استعنا بمجموعة من المصادر والمراجع، نذكر منها، الرواية موضوع البحث «فيض وجع وحنين"–نشأة الرواية العربية في الجزائر «مفقودة صالح"–الأسس الجمالية في النقد العربي "عز الدين إسماعيل"–القارئ في الحكاية –"أمبرتو إيكو umento eco"ترجمة "أنطوان أبو زيد"–اتجاهات الرواية العربية في الجزائر–

خلال إنجازنا لهذه الدراسة، لم تواجهنا أي صعوبات تذكر، لأن الأمل كان يحذونا، وتوجيهات أساتذتنا الكرام خاصة الأستاذ المشرف، " عمر جادي "الذي لم يدخر جهدا في نصحنا ودعمنا وتصويب أخطائنا، والتي بلغت الدقة اللامتناهية من الخطة، إلى التعديلات المرحلية، إلى المضمون والسّياق، شهادة نقولها اليوم في حقه، وندخرها ليوم القيامة أمام

الله، فالشكر كل الشكر له، وللقدر الذي ساقنا إليه بعدما تسلل إلى خاطرينا الوهن في بداية السنة.

الفصل الأول:

الفصل الأول

دراسة نظرية حول: السرد الفني وجماليات التلقي في الرواية

1. مفهوم البنية الفنية السردية:

أ-**لغة:** إن البنية مشكلة من الفعل(بنى) والبنى نقيض الهدم، فنقول: «بنى البناء بنيا وبنيانا وبنية والجمع أبنية"1كما أنه يطلق على الفطرة، ويقال «فلان صحيح البنية أي الجسم، وبنى الكلمة أي ألزمها صيغتها[1]

ب-اصطلاحا: لقد واجه تحديد مصطلح "**البنية**" مجموعة من الاختلافات تجلى في أشكال متنوعة فنجد "**جان بياجي jean piaget** "في كتابه "**البنيوية**": (يقدم لنا تعريفا للبنية باعتبارها نسقا من التحولات) يحتوي على قوانينه الخاصة، علما بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائما ويزداد ثراء، وتتألف هذه التحولات من ثلاث خصائص: الكلية والتحولات والضبط الذاتي)[2]

وعلى الرغم من الغموض الذي خيم على هذا المصطلح، فإن استعماله عند الغرب لا يختلف عن استعماله عند العربي القديم، فهو يدل على التشييد والبناء والتركيب والنسج، ونستطيع القول: (أن البنية هي منهج إلى دراسة النص، من حيث مجموعة من العناصر المتآلفة فيما بينها، دراسة شكلية تهدف إلى تفسير بنيته وتوضيح المظاهر الفنية والجمالية التي يشتمل عليها والتي تسهم في عملية التأثير)[3]

أما "**ليفي شتراوس lévi strauss**"فيرى أنها (نسق يتألف من عناصر، يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها أن يحدث تحولا في العناصر الأخرى)[4]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة بنى، دار صادر، بيروت، ط1، مجلد، 14، 1995م، ص93.

[2]- على بن حسن الهنائي الأزمي: المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، ط31، 1991م، ص50_ص51.

[3]- عبد المالك مرتاض: النص الأدبي من أين وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص5.

[4]- المرجع نفسه، ص6.

ولدى "**فردينان دوسوسير Ferdind desaussure**"والذي يعد الرائد الأول للبنيوية إذ كان يفرق بين اللغة والأقوال، أو بين اللغة كنظام واللغة كاستعمال كلام أو كتابة، إن البنيويين يفرقون بين الأدب والأعمال الأدبية.[1]

1-1 مفهوم البنية الفنية (فنيات أو فن):

أ-لغة: لفظة "فن" مصطلح قديم، فقد تعددت تعاريفه ومنها: ما جاء في لسان العرب تحت مادة (ف ن ن) ما يلي: الرجل يفنن الكلام: أي يشقق في فن بعد فن، وأفان الرجل في حديثه وفي حطبته إذا جاء بالأفانين، أي أخذ في فنون القول.[2]

ب-اصطلاحا:

1. جملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة.
2. جملة الوسائل التي يتوصل بها الذكاء البشري إلى نتائج تطبيقية (التقنية المتطورة) وهذا المفهوم يتعارض مع العلم الذي يعتبر جهدا إنسانيا للاطلاع النظري.
3. وفي معنى شامل يفهم بالفن في المدارس الحديثة الطاقة التي يتميز بها الإنسان الموهوب وتساعده على توليد إحساس رهيف بالجمال.[3]

2-1 مفهوم السرد(narration)

أ-لغة: اختلفت تعاريف السرد كل حسب نظره ومنها:

ما ورد في لسان العرب لان منظور، أن السرد هو: "تقدمه شيء إلى شيء، تأتي به متسقا بعضه إلى بعض متتابعا، سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا كان جيد السياق له..."[4]

---

[1] – شكري عزيز الماضي: في نظرية الأدب، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1986، ص190.

[2] – لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ج13، 1968، ص368.

[3] – المعجم الأدبي، حور عبد النور، دار العلم للملايين، 1998 م، ص197.

[4] – لسان العرب، مرجع سابق، ص211.

وجاءفي تاج العروس مادة سرد (...والسرد نسج الدرع) وهو تداخل الحلق بعضها في بعض، والسرد اسم جامع .. "أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" سورة سبأ الآية 11

قيل: (هو لا يجعل المسمار غليظا والثقب دقيقا فيفصم الحلق، ولا يجعل المسمار دقيقا والثقب واسعا فيتقلقل أو ينخلع أو يتقصف، ومن المجاز السرد جودة سياق الحديث[1]

أما في المعجم الوسيط: سرد الشيء تابعه ووالاه، فيقال: سرد الصوم ويقال: سرد الحديث، أتى به على الموالاة جيد السياق.[2]

ب-اصطلاحا:

كلمة سرد تعني قص حدث أو أحداث أو خبر، سواء حقيقة أو خيال.[3]

وهو بسط الحدث في أي عمل أدبي بسطا عاديا من غير حوار، وهو أسلوب إن أطال منه القارئ مله.[4]

وفي المعجم الأدبي بمعنى: الحديث والقراءة تابعهما وأجاد سياقهما.[5]

ويعني السرد فعل الحكي المنتج المحكي، أو مجموع الوضع الخيالي الذي يندرج فيه والذي ينتجه السارد والمسرود له، ونقصد به النص السردي الذي ينتجه السارد بحيث يوفق بين

---

[1]- تاج العروس، مرتضى الزيدي، دار صادر، بيروت، ج2، 1995م، ص375.

[2]- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حاجي عبد القادر، محمد علي النجار، دار الدعوة استانبول، تركية، 2005م، ص426.

[3]- معجم المصطلحات في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص198.

[4]- المعجم المفصل في الأدب، إعداد محمد النونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ج1ص532

[5]- المصدر السابق، ص139.

الأحداث والأحاديث التي تجري وفقا لهذه الأحداث على ألسنة الشخصيات، ومن ثم فهي تتضمن العالم المسرود.[1]

ويذهب عبد المالك مرتاض إلى أن أصل السرد في اللغة العربية: هو التتابع الماضي على سيرة واحدة وسرد الحديث والقراءة من هذا المنطلق الاشتقاقي، ثم أصبح السرد يطلق في السرد القصصي على كل ما خالف الحوار، ثم لم يلبث أن تطور إلى معنى أشمل (النص الحكائي والروائي أو القصصي برمته)[2]

والسرد بمفهومه العام هو جزء من نظرية ناشئة تطمع إلى أن تكون علما قائما بذاته له مناهجه وأسسه لذلك أصبح هذا المصطلح "السرد" بمفهومه الشامل يزاحم العلوم الأخرى، وأطلق على نفسه "علم السرد"[3]

1-3 مفهوم الرواية(diegese):

أ-لغة: عرفت الرواية عدة تعاريف منها:

ما جاء في لسان العرب لابن منظور: في مادة "روى" روى الحديث والشعر بروية رواية.[4]

وجاء في المعجم الوسيط: تروى: روى، يقال: تروت مفاصلة تروى في الأمر: أي نظر فيه وتفكر، فالراوي (الحديث أو الشعر) رواية أي حمله ونقله، والروي في علم العروض الحرف الذي تبنى عليه القصيدة.[5]

---

[1]- تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، عبد القادر شرشال، منشورات دار القدس العربي، وهران، 2009م، ص121.

[2]- السرد وامتداد الحكاية قراءة في نصوص جزائرية وعربية معاصرة، عبد القادر بن سالم، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2009م، ص9.

[3]- السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992م، ص9.

[4]- لسان العرب، ج14، ص348.

[5]- أحمد حسن الزيات، المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، حاجي عبد القادر، محمد علي النجار، دار الدعوة استانبول، تركية، 2005م، ص426..

ب-اصطلاحا: فالرواية: ‹‹هي الشكل المطابق للتجزئة والتشظي وعواقب الاستلاب داخل المجتمع البرجوازي، من أجل تشييد كلية جزئية، تسعف البطل الروائي الإشكالي على أن يتعرف على ذاته››[1]

بينما يرى "باختين"أن تعريف الرواية لم يجد جوابا بعد بسبب تطوها الدائم [2]إلا أن الدارسين حددوا مجموعة من التعريفات نذكر منها:

"هي رواية كلية شاملة موضوعية أو ذاتية تستعير معمارها من بنية المجتمع، وتمنح مكانا لتتعايش فيه الأنواع والأساليب كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المتعارضة.[3]

فالرواية سرد نثري خيالي طويل عادة تجتمع فيه عدة عناصر في وقت واحد مع اختلافها الأهمية باختلاف نوع الرواية، فهي طويلة نسيا، لكن ليست في طول الملحمة غالبا، وهي متفردة بذاتها وغنية بالعمل اللغوي، ولكن يمكن لهذه اللغة أن تكون وسطا بين اللغة الشعرية التي هي لغة الملحمة، واللغة السوقية، وهي تعمل على التنوع والكثرة في الشخصيات، في الملحة أبطال خارقين، في الرواية أشخاص عاديين، وتتميز بالتعامل اللطيف مع الزمان والحيز والحدث.[4]

ولقد جاء في معجم المصطلحات الأدبية لفتحي إبراهيم: أن الرواية سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والمشاهد، والرواية شكل أدبي لم

---

[1]- الخطاب الروائي، ميخائيل باختين، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1985م، ص11.

[2]- نشأة الرواية العربية في الجزائر، مفقودة صالح، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد2، 2005م، ص2.

[3]- المرجع نفسه، ص2.

[4]- ينظر: معجم المصطلحات في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص183

تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية، وما صاحبها من تحرر الفرد من ربقة التبعات الشخصية.[1]

فالرواية هي أكبر الفنون الأدبية عمقا واتساعا، لأن معمارها الفني يشمل أساليب التعبير القصصية والدرامية ونضيف إليها تصوير المجتمع، والتعبير عن ضمير الإنسان وأشواقه ومصيره، واستيعاب التاريخ والتنبؤ باتجاهات المستقبل، وقد تطورت من أداء للتسلية وحكايات المغامرات والأساطير، إلى أداة فنية للوعي بمصير الإنسان وتاريخه[2]، فتعتبر الرواية من القضايا المركزية المثارة في الفكر العربي، والتي لا تزال تثير الاهتمام بقضية نشأة الرواية، أهي قديمة قدم الإنسان العربي أم أنها نوع جديد جاءت استجابة لتحولات فرضها الاستعمار[3]، وهذا ما سنعالجه في العنصر الموالي.

2. الرواية الجزائرية:

2-1 ظروف نشأة الرواية الجزائرية:

إن نشأة وتطور الرواية الجزائرية لا تنفك بأي حال من الأحوال عن الواقع الاجتماعي والسياسي للشعب الجزائري، كون هذا الفن الأدبي وغيره من الفنون الأخرى لا بد له من تربة خصبة، وهو ما يعني النضج والوعي، إلا أننا نتصادم بمشكلة ارتباط المشرق العربي، فلا نجد مثلا دراسة تاريخية خاصة بدولة عربية على حدى بل الكل مجتمع في بوتقة واحدة، ولكل دولة عربية ظروفها الخاصة، فنجد الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي حين انبثق هذا النوع الأدبي والفني.[4]

---

[1]– نشأة الرواية العربية في الجزائر، مرجع سابق، ص3

[2]– الرواية السياسية، أحمد محمد عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، د ت، د ط، ص7

[3]– قضايا الرواية العربية الحديثة، سعيد يقطين، الدار العربية للنشر، الرباط، ط1، 2012م، ص23.

[4]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930م، دار الأدب، بيروت، 1969م، ص35.

ولأجل الحديث عن هذا التاريخ النضالي وجب التحدث عن فترتين هما:

- فترة ما قبل الاستقلال.
- فترة الاستقلال واستعادة الحرية.

فأما الفترة الأولى يكمن في شكلين من أشكال مقاومة الشعب الجزائري، أحدهما سياسي والثاني مسلح، فالسياسي بدأ مباشرة عقب الاحتلال وتوقيع الداي حسين على معاهدة الاستقلال في 5جويلية 1830حينها حاول حمدان خوجة تكوين أول حزب وطني يعرف بلحمة المغاربة[1]، نشطت الحركة السياسية وتعددت الأسباب في النصف الأول من القرن العشرين معتمدة على التيارات الثلاثة الآتية:

- ✓ **التيار الأول:** طالب بتحقيق المسارات بين الأغلبية الجزائرية والأقلية الاستعمارية، ومن الذين نادوا بذلك: حفيد الأمير "عبد القادر" "الأمير خالد "خلال الحرب العالمية الأولى، ثم طالب التيار بعد ذلك بالتجنيس والاندماج ونادى بذلك "بن جلول" "وفرحات عباس" ثم تطور بعد الحرب العالمية الثانية.
- ✓ **التيار الثاني:** برز بعد الحرب العالمية الأولى ونادى بالاستقلال ممثلا في "نجم شمال إفريقيا" والذي ظهر في باريس1927، وشعاره "الاستقلال الوطني والإصلاح الزراعي، وأسسه "حاج علي عبد القادر" ورئيسه الشرفي "الأمير خالد"، وفي عام 1932تغر اسم الحزب إلى أنصار "جمعية شمال إفريقيا "وفي 1934أخذ اسم "الاتحاد الوطني لمسلمي شما إفريقيا "وفي 1937أخذ اسم "حزب الشعب "، وفي خضم هذه الأحداث قسم الشعب الجزائري إلى ثلاثة أقسام: "أنصار مصالي الحاج" "أنصار اتجاه اللحمة المركزية" "اللحمة الثورية للوحدة والعمل"، ومن رحمها بزغت "جبهة التحرير الوطني"[1]

[1]– نشأة الرواية العربية في الجزائر، صالح مفقودة، مرجع سابق، ص14.

- ✓ **التيار الثالث:** وذلك من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1930 والتي كان شعارها "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، والجزائر وطننا[1]".

فالمقاومة المسلحة انطلقت منذ احتلال الجزائر في شكل ثورات متلاحقة كثورة متيجة ومقاومة الأمير عبد القادر وثورة الفلاحين وغيرهم من الثورات، وها هي أهم المحطات البارزة في تاريخ الشعب الجزائري:

- ثورة الفلاحين (1871-1916).[2]
- أحداث الثامن ماي1945.[3]
- ثورة نوفمبر1962-1954.[4]

والرواية الجزائرية حتما تأثرت بهذه المحطات الثلاث المذكورة، وسنسلط الضوء على هذه المحطات بإيجاز:

- ❖ **المحطة الأولى:** ثورة الفلاحين(1916-1871)وهي انتفاضة فلاحية أحداثها دارت بين فلاحين جزائريين وهم أصحاب الأرض ومالكيها، مع السلطات الفرنسية التي كانت تضايقهم تارة بمصادرة المحصول وأخرى بحرق مزارعهم وإتلافها، ودائما بفرض غرامات وضرائب قاسية حتى أنها لا تتوانى عن اقتياد بهائمهم ودوابهم التي كانت تعينهم على استغلالها، وحتى تهجيرهم القسري إلى الجبال.....بزعامة "أحمد المقراني" وبعد مقتله تسلم الشيخ الحداد الزعامة إلى غاية 1916، حين ذاك ظهرت أول بذرة قصصية في الأدب الشعبي وهي:

---

[1]- عبد القادر جلول، تاريخ الجزائر الحديث دراسة سسيولوجية، ترجمة فيصل عياش، مراجعة خليل أحمد خليل، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، دت، ص129.

[2]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1930، ص35.

[3]- المرجع نفسه، ص37.

[4]- المرجع نفسه، ص40.

"حكاية العشاق في الحب والاشتياق" ل"محمد مصطفى بن إبراهيم" الذي صودرت أملاكه

وأملاك أسرته من طرف المستعمر، وقد انعكس ظهور هذه الرواية على نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر.

- **المحطة الثانية:** أحداث 8ماي 1945مارست فرنسا كل أساليب القهر ضد الشعب الجزائري، والقوانين المجحفة التي كانت تسلطها عليه، فهذه الانتفاضة كانت نقطة تحول على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي، وتمثل هذا الوعي في خروج الشعب الجزائري في مظاهرة سلمية مطالبا بحقوقه، وإنصاف دمه وقتلاه في الحرب والوفاء بالعهد، لكن الاستعمار غدر بوعده ونكل بالشعب الجزائري، فبلغ تعداد الشهداء في يوم واحد45ألف شهيد، وكان من بينهم المفكر والعالم والسياسي والعامل، لذلك عدت هذه الأحداث أكبر المذابح في تاريخ الشعوب.
- **المحطة الثالثة:** أول نوفمبر1954: انصهرت الأحزاب السياسية واتحدت مغيرة أسلوب الحياة، والتعامل مع الآخرين، وخلال هذه الفترة ظهرت أعمال روائية منها: الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي 1951، الحريق لنور الدين بوجدرة 1957، غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو.

ويعد من مؤسسي الرواية في الجزائر، رغم انتمائه إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ذات الاتجاه الإصلاحي فهو يحمل طابعا سلفيا، فقد أراد من المجتمع البقاء ضمن دائرة الماضي، ومن هذا المنعطف خرج حوحو كاتبا للرواية فضلا عن موهبته الفنية.

وقد اعتبر "واسيني الأعرج" –غادة أم القرى– أول عمل روائي مكتوب باللغة العربية في الجزائر وقال عنها أنها ظهرت كتعبير عن تبلور الوعي للجماهير بالرغم من آفاقها

المحدودة، [1]فالرواية تعالج قضية المرأة في مكة، وأحداثها تصور الواقع نفسه الذي تعيشه المرأة الجزائرية، وقد كتب قائلا: [إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب من نعمة التعلم من نعمة الحرية إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوي[2]

فأول شيء حرمت منه المرأة الجزائرية "الحب" وهو افتقدته المرأة في مكة من خلال تصوير الشخصية الرئيسية "زكية" التي تجد نفسها بين أربعة جدران لا لسبب إلا لأنها أنثى.[3]

2-2 نضج الرواية الجزائرية وازدهارها:

إن التغيرات التي طرأت على البنى السياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت محل استجابة الفنون الأدبية المعاصرة لها، لأن واقعها مربوط بواقع المجتمع وبحركته، واستجابتها للحركة الأدبية العالمية أيضا جعلها تحاول مرارا الخروج عن النموذج الثابت وتجاوز الأشكال التقليدية والتجديد الذي ارتبط بالبحث عن سبل الانفتاح والإبداع والإنسلاخ من كل موروث، ومن الفنون الأدبية التي استجابت لهذه الحركة، "الرواية" الجديدة الأكثر رواجا.

وما يمكن الالتفات إليه في تلك المحاولات التجديدية استمرارية الكتابة و البحث الدائم عن منافذ لتجاوز المألوف ومخالفة المعروف، كما يقول "كمال أبو ديب" معرفا الحداثة: (بأنها تجاوز الواقع)وهي الثورة على قوانين المعرفة العقلية وعلى المنطق والشريعة وتعني الخلاص من المقدس[4]، وقد تشكلت في خضم ذلك التحولات التي عرفتها المجتمعات العربية، واحتكاكها بثقافة الآخر جل الأعمال الأدبية، جاءت محملة بما يدل على ذلك الانفتاح الذي عاد عليها بالإضاءات والإيجابية رغم عدم خلوها من مؤثرات سلبية انعكست على الجانب

[1]– نشأة الرواية العربية في الجزائر، صالح مفقودة، مرجع سابق، ص25.

[2]– الأعرج واسيني، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائريين، الجزائر، 1956، ص38.

[3]– نشأة الرواية العربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 20.

[4]– وليد قصاب، الحداثة في الشعر العربي المعاصر، الإمارات العربية، دبي، ط1، ص187.

الفكري لكل مجتمع كتلك الخصائص المعبرة عن الذات العربية وجذورها العريقة(اللغة والدين).

ففي التجربة الروائية الجزائرية لمرحلة الثمانينيات ظهرت تلك المحاولات ملامسة للواقع الجزائري ومصرة على اختراق السائد السردي من خلال التجربة الباحثة من أفق حداثي يجعلها في مصاف الرواية العالمية، ومن تلك الأعمال نذكر: أعمال واسني الأعرج "وقع الأحذية1981، "تغريبة، صالح بن عامر، أو نوار اللوز "1983" لرشيد بوجدرة، التفكك"1982"أعمال الحبيب السايح و الجيلاني خلاص ومرزاق بقطاش، كما عرفت العشرية السوداء نماذج روائية تناولت بطريقتها الخاصة المرحلة بتقلباتها الحديثة وبأسماء جديدة من الكتاب الشباب نذكر منهم عز الدين جلاوجي: "الفراشات والغيلان"2000"سرداق الحلم والفاجعة"2000، و"بشير مفتي المراسيم والجنائز 1998""أرخبيل الذباب"2000و"فضيلة الفاروق"، "مزاح مراهقة"1999وتاء الخجل2000م.

ومن خلال هذه الأعمال تجدر الإشارة إلى أن المقام لا يتسع لذكر محاولات التجديد، تتباين تقنيات ممارستها بتباين تكوين الكتاب ومواقفهم ورؤاهم، ولقد عرفت الساحة الإبداعية الجزائرية تجارب مغالية في التجريب، يتداخل فيها التاريخ بالواقع وتتعدد فيها الأساليب والأطروحات الفكرية الثائرة والمتمردة على قيم المجتمع العربي الإسلامي وتقاليده.

إن التجديد والإبداع أمر ضروري، ولا يعني ذلك التنصل من الذات، ولا منح الهوية ولا الانفصال فهو نوع من التكيف مع الظروف الجديدة وإضافة اللاحق إلى السابق، وهو التوافق مع الحداثة التاريخية المستمرة، واستكمالا لمسيرتها بالذي يتطلبه العصر وتطوراته، وإلى جانب الدعوة لاستخدام العامية في اللغة الروائية وإهمال قواعد اللغة العربية ولقد، وجد أن البعض يخلون بقواعد اللغة، وبالتالي الذوق العام للرواية باستخدام الألفاظ المرذولة

الصادمة المبتذلة، ومنهم من دعى إلى التعددية اللغوية، باستخدام ألفاظ أجنبية حرصوا على كتابتها بالحرف اللاتيني أحيانا، وكتبوها بالحرف العربي أحيانا أخرى.[1]

3. الجمال والجمالية:

النص الأدبي هو محور تساؤل القارئ.

-كيف لهذا النص الأدبي أن يؤثر في الفرد والجماعة؟

-كيف لهذا النص أن يعجب القارئ، وما هو سر هذا الإعجاب؟

-لماذا هذا التمييز بين النصوص، أم أن الحظ من الإعجاب والمقروئية ألقى بظلاله على النصوص أيضا؟!

الأكيد أن للنصوص تأثيرا جماليا يلقي به في نفس المتلقي، قارئا كان أو مصغيا، في جميع أشكال الأدب والفن، في مختلف تفرعاته، فتجد للناس أذواقا تتباين كتباين الألوان والأذواق.....وتطلق الناس أحكامها على العمل الأدبي، فيقولون: كتاب ممل، وآخر ممتع أو مشوق، وهذا مفيد أو عديم الفائدة، الجافة والدسمة .....بل حتى يطلقون على بعضها وصف الكتاب التافه، والذي قد يتفوق غلافه على فحواه أو مضمونه....وكما نجد الاختلاف بين الأفراد في أشياء كثيرة، أيضا تختلف في إقبلها أو عزوفها عن بعض الكتب .....وكما ندرك جميعا أن الأذواق لا تناقش!

3-1 مفهوم الجمال:

أ-**لغة:** جاء في معجم "العين "للخليل بن أحمد الفراهيدي ما نصه "الجمال" مصدره من الجميل، والفعل منه جمل يجمل قال الله تعالى: " وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6)" .[سورة النحل

[1]- المصدر السابق، ص9.

وفي الحديث: عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى عليه وسلم–" إنَّ اللهَ جَميلٌ يُحِبُّ الجَمالَ "[1].

وقال سيبويه: الجمال رقة الحسن.[2]

وقال الراغب: الجمال الحسن الكثير.[3]

والجمال الجميل من النساء.

وتجمّل الّرجل تزيّن.

والجميل، المليح، البهي، الحسن الذي يسر حين النظر إليه، ونقول: "ناقة جملاء أي ناقة حسناء"[4]

والجمال ضده القبح.

وجاء في "أساس البلاغة "للزمخشري في المادة: ج م ل: "فلان يعامل الناس بالجميل وجامل صاحبه مجاملة، وعليك بالمدارات وهي المجاملة مع الناس..."[5]

ووردت صيغة الجمال في القرآن الكريم في مواطن كثيرة منها. "وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ" [سورة يوسف الآية18]

وقوله: **(وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا)** [سورة المزمّل الآية10]

وقوله أيضا: " وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ".[سورة الحجر الآية 85]

---

[1]– الإمام مسلم صحيح مسلم، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص93

[2]– نقلا عن محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، من جواهر القاموس، مكتبة ندار، ج7، ص163.

[3]– المرجع السابق، ص165.

[4]– محمد بن مكي الأنصاري: لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج4، ص98

[5]– الزمخشري: أساس البلاغة، مكتبة لبنان، ط1، 1996، ص63.

ب-اصطلاحا:

الحقيقة أن مفهوم مصطلح الجمال متشعب، فالباحث يصعب عليه تحديد مفهوم شامل تتفق عليه الناس في العموم، ولكن كل ما يبحث على الراحة في نظر الإنسان فهو جميل، إذن فالجمال ظاهرة ديناميكية متطورة، وتقدير الجمال يختلف من شخص إلى آخر، ومن مكان إلى آخر، ومن زمن إلى زمن مختلف.....

يعرف "أفلاطون" Platoالجمال: "بأنه ظاهرة موضوعية لها وجودها سواء يشعر بها الإنسان أم لم يشعر، فهو مجموعة من الخصائص وإذا توفرت في الجميل عن الجميل .....وهكذا تتفاوت نسبة الجمال حسب أفلاطونPlato من وحي الإلهام فهو يربط عالم الواقع بعالم المثل العليا"[1] ومن هنا يتضح لنا أن "أفلاطون Plato "يخضع الفن للمثالية والأخلاق ويبعده عن العقل لكن" آرسطو Aristole "يختلف عنه بأنه "يجعل من العقل مقياسا للجمال مبدأ منظما من الفن"[2].

إنه من الطبيعي جدا أن نجد أكثر من تعريف للجمال عند مختلف المفكرين في مختلف العصور، ذلك أن التعريفات في هذه الحالة تكاد لا تمثل أكثر من وجهات النظر المختلفة في فهم الجمال، ومن الطبيعي اختلاف الناس في أذواقهم حول تقييمهم للقبح والجمال، فما أراه قبيحا من وجهة نظري يراه غيري في قمة الروعة، وما يبدو لي رائعا ربما يراه آخرون في منتهى القبح، لذلك يمكننا القول أن معيار الجمال مطاطي قد يتسع كما قد يضيق لأنه يخضع للأهواء والأمزجة وهو تمرد على القواعد الكلاسيكية المضبوطة وهو تيار حداثي كغيره من التيارات .

3-2 الجمال والجمالية عند العرب:

من بين الفلاسفة العرب الذين تناولوا في دراساتهم موضوع الجمالية: الفرابي ابن سيناء، الغزالي، أبو حيان التوحيدي.

---

[1]- عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر، القاهرة، 1992، ص68.

[2]- عز الدين إسماعيل، مرجع سابق، ص68.

1-الفرابي:

إن من أهم أقوال الفرابي بخصوص الجمال والفن: "بأن صلة معينة توجد بين الشعراء والفنانين، ويمكن القول أن مواد إنتاجهم الفني مختلف، ولكن أشكالها وتأثيرها وهدفها واحد، ويعتمد فن الشعر في الحقيقة على الكلمات، أما فن الرسم فيعتمد على الألوان، وهنا يكمن الفرق بينهما إلا أن تأثيرها واحد يعبر عنه في المحاكاة، وهدفها واحد هو التأثير على مشاعر الناس وحواسهم"[1]

ويقول أيضا: "لما كان الجميل صنفين، صنف هو علم فقط، وصنف هو علم وعمل، الصنف الأول نحصل به معرفة الموجودات التي ليس للإنسان فعلها وتسمى (الفلسفة النظرية) أما الثاني فتحصل فيه الأشياء التي شأنها أن تفعل وتسمى (الفلسفة العملية)[2]

ومن الملاحظ أن الفرابي من الفلاسفة الذين تتبعوا خطوات آرسطو في البحث عن حقيقة الفن والشعر.

2ابن سينا:

"يتفق ابن سينا مع الفرابي في إيمانه بالعقل، والعقل هو مصدر العلم والمعرفة"، ووجد ابن سينا أن كل جمال يتناسب مع الخير فهو مدرك ومحبوب، أما كيف ندرك الجمال فإما عن طريق الحس، أو الخيال أو العقل.

واعتبر ابن سينا الجمال نوعين، الأول الجمال الدنيوي وهو الأدنى، أما الثاني فهو الجمال الإلاهي وهو الجمال الأسمى والمطلق، وهو انعكاس للحق -والحق من أسماء الله الحسنى، فالله هو الجمال السامي والمطلق، ويفهم هذا الجمال بالمفاهيم الروحية المرتبطة بالنور والضياء.[3]

---

[1]- أمال حليم الصراف: موجز في علم الجمال، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، ص32.

[2]- المرجع نفسه، ص33.

[3]- أمال حليم الصراف، مرجع سابق، ص43

3-أبو حامد الغزالي:

يعد الغزالي من المفسرين للجمال في كتابه "علوم الدين" وقد ميز بين طائفتين من الظواهر الجمالية، طائفة تدرك بالحواس، وهذا يتعلق بتناسق الصور الخارجية وانسجامها سواء أكانت بصرية أم سمعية، أما الطائفة الثانية فهي ظواهر الجمال المعنوي التي تتصف بالصفات الباطنية وأداة إدراكها القلب، فالقلب إذن الوجدان وهو إدراك الجمال في المعنويات.[1]

وبحث الغزالي في كتاب "المحبة والشوق والأنس والرضا" فرأى أن الجمال مرتبط بالمحبة، وهو دافع الحب ..... وعدد الغزالي الأشياء الجميلة كالفرس الجميل، والثوب الجميل، والصوت الجميل، وتساءل عن المبدأ العام المشترك بينها، ورأى أن هذا المبدأ يوجد في "الصورة الجميلة "التي تحقق كمال الشيء في ذاته وأدائه، يقول الغزالي: "فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرا فهو في غاية الجمال."[2].

وترى وفاء محمد إبراهيم أن الجمال عند الغزالي مستويان: "ظاهر وباطن، فالظاهر يدرك بالحواس، والباطن يدرك بالبصيرة والاقتصار على تذوق مستوى واحد هو تصور من قبل المدرك، وعدم بلوغه التجربة الجمالية لأنها استيعاب كل أنواع المحسوسات الجميلة، والنفاذ إليها بالبصيرة والقلب للوصول إلى المناسبة الخفية، وهي الحب الذي يميل إلى الرغبة في إبداع الجمال وتذوقه"[3]المناسبة الخفية، وهي الحب الذي يميل إلى الرغبة في إبداع الجمال وتذوقه"[4]

وقد وحد الغزالي بين النفس السوية وتذوق الفنون والجمال قائلا: "من لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج".2

---

[1]- المرجع نفسه، ص33.

[2]- المرجع نفسه، ص43.

[3]- المرجع السابق، ص34.

[4]- وفاء محمد إبراهيم: علم الجمال قضايا تاريخية ومعاصرة، ص42.

4-أبو حيان التوحيدي:

يعتبر أبو حيان التوحيدي أول عربي وضع علم الجمال العربي ويعرفه بأنه: "مهارة إنسانية تتم بالأيدي وليس بالعقل وحده "فالإبداع عنده يقوم على البديهة والإلهام، ثم على العمل المسؤول المثقف، لأن الإنسان عنده هو الحيوان القادر على إبداع الجمال وتذوقه....."[1]

فالإدراك الجمالي عند التوحيدي، ما هو إلا انفعال نفسي إزاء فعل النفس في الطبيعة، التي تنظم صورة المادة، وهنا تقوم النفس بدورين: دور الفاعل الذي يجعل الطبيعة موافقة لرغبة النفس، ودور المنفعل الذي تقوم به النفس في عملية الإدراك الجمالي "[2]

ويرى عز الدين إسماعيل: "أن مفهوم الجمال عند القراء والمفكرين، وعند النقاد العرب إدراك حسي بالحواس، وهي التي تدرك الجمال، وهناك الجمال المعنوي الذي يدرك بالبصيرة، فلما كان العمل الأدبي عملا يداعب الأحاسيس والمشاعر، انصرف الاهتمام بالجمال الشكلي الذي يؤدي إلى الحواس فيمتعها أو يؤذيها"[3]

ومرد هذا الاختلاف إلى انطلاقهم من مشارب شتى، كل حسب رؤيته وفلسفته، وهذا الاختلاف إذ دل على شيء إنما يدل على الإثراء والتنوع والتجديد، فالثقافات مهما تعددت مواقفها واتجاهاتها فهي تصف الحضارة الإنسانية في النهاية إنجازا وتقدما.[4]

---

[1]- المرجع السابق، ص42

[2]- المرجع نفسه، ص39.

[3]- وفاء محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص41.

[4]- ينظر، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب، مادة (لقى)دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص254

"فما تقوم به الدراسات الجمالية موجه بالدرجة الأولى للقارئ، الذي هو هدف المبدع والناقد، وهدفها هو البحث في المكونات الجمالية لجعل القارئ –المتلقي– يتلذذ بالعمل الفني"[1].

3-3 التلقي:

من حيث اللغة هي مصدر للفعل الخماسي "تلقّى" وهو الاستقبال فيقال تلقاه أي استقبله.2

ومنه قوله تعالى: " **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** "[النمل6] وقوله تعالى " فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ "[البقرة37]

نظرية التلقي اصطلاحا:

عرفها عبد الواحد بأنها "عملية التفاعل النفسي والذهني مع النص القرائي"[2]

وعرفها حسين بأنها: "النظرية التي تقوم على عملية التفاعل النفسي والذهني مع النص القرائي".[3]

ويرى حمود بأنها: " المشاكلة الذهنية والوجدانية للحياة الخاصة للنص مع القارئ"[4]

3-علام ترتكز نظرية التلقي؟

تمثل نظرية التلقي محورا من محاور نظرية القراءة، وتدور حول ثلاثة محاور تشكل دعامتها الأساسية، وهي كالآتي:

1-القارئ (المتلقي):

وقد أولته نظرية التلقي أهمية كبرى، حيث جعلته المحور الذي تدور العملية الأدبية في تلقي النصوص، وإنتاج المعنى.

---

[1]– ينظر، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، مادة (لقى)دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص254.

[2]– عبد الواحد، محمود عباس: قراءة النص وجماليات التلقي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ص14.

[3]– ينظر: حسين، السيد حسين محمد: فاعلية برنامج مقترح قائم على نظرية التلقي في تنمية مهارات القراءة الناقدة لدى التلاميذ المتفوقين بالمرحلة الإعدادية العامة، أطروحة دكتوراه، جامعة المنصورة، كلية التربية، دمياط _مصر، 2007.ص16.

[4]– ينظر: حمود محمد: مكونات القراءة المنهجية للنصوص، ط1، دار الثقافة والنشر، الدار البيضاء_ المغرب، 1988.ص18

2-بناء المعنى

لتحديد المعنى عند أصحاب هذه النظرية لا بد من التعريج على مفهوم "الفجوات" أو "البياضات "داخل النص، وكيف يسهم القارئ في بناء المعنى، وفي هذا الصدد يقول (أمبرتو إيكو) عن النص: إن هو إلا نسيج فضاءات وفرجات سوف تملأ، فيتركها بيضاء لسببين: الأول، هو أن النص يمثل آلة كسولة(مقتصدة)، تحيا من قيمة المعنى الزائد التي يكون المتلقي قد أدخلها (إلى النص).[1]

3-أفق التوقعات (أفق الانتظار):

بين الدكتور عبد العزيز حمودة أن محور نظرية التلقي الذي يجمع عليه روادها هو (أفق توقع القارئ) في تعامله مع النص، ومهما اختلفت المسميات فإنها تشير إلى شيء واحد وهو: ماذا يتوقع القارئ أن يقرأ في النص؟ وهذا التوقع يتوقف على ثقافة القارئ، وتعليمه، وقراءاته السابقة، أو تربيته الأدبية والفنية.[2]

4-القراءة وسيرورة التأويل عند ياوس:

هانس روبير ياوس **Hans Robert Jauss** هو أحد أعلام نظرية (التلقي) أستاذ بجامعة (كونستانس) الألمانية في الستينيات، وهو من الرواد الذين اجتهدوا في إصلاح مناهج الثقافة والأدب في ألمانيا، وهو باحث لغوي متخصص في الأدب الفرنسي، طموح متطلع إلى التجديد في مجال الأدب، وقد حاول أن يخلص الأدب من الثنائية المفروضة عليه بتأثير المذاهب النقدية، فعمل على نقل الاهتمام من ثنائية (الكاتب/النص) إلى جدلية (النص/القارئ).

يعد "هانس روبير ياوس" من أنشط رواد "جمالية التلقي" الذين دافعوا عن تجاوز النظرة الأحادية في تقويم الأدب، وطالبوا بفهم القراءة على أنها فعل تحاور وجدل بين النص

[1]- أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، ترجمة أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي دار العربي، الدار البيضاء _المغرب، ط1، 1996، ص63.

[2]- حمود عبد العزيز: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، مجلة عالم المعرفة، العدد 232، الكويت، 1978، ص323.

ومتلقيه، أو بين النص وعملية التلقي التي يحركها وتحركه، إذ النص بنية تقديرية –كما يقول ياوس– ولذلك فهو يحتاج إلى دينامية لاحقة تنقله من حالة الإمكان إلى حالة الإنجاز ومن حالة الكمون إلى حالة التحقق، بمعنى أنه لا يجوز القول بوجود المعنى الجاهز أو النهائي في النص، وإنما معناه المرتقب ناتج عن فعل القراءة وفعالياتها التي هي عبارة عما سيتولد بين النص وقارئه، بين البنية الأصلية وبين خبرات القارئ أو "أفق انتظاره".

وقد وضع مجموعة من الإجراءات والأسس التي تصب في مجملها ضمن محور العلاقة التفاعلية بين النص والقارئ، من حيث اهتمامه بدراسة تاريخ الأدب، كما طرح عددا من المقترحات التي أصبحت أسسا لنظرية جديدة، انتقل فيها الاهتمام من المنشئ للعمل وعملية إنشائه إلى التركيز على المستهلك من خلال الجدل بين الإنتاج والاستهلاك، وقد أطلق على نظريته (جمالية الاستقبال)1 حيث ذكر (ياوس**Hans Robert Jauss**) أن المتلقي يتعامل مع النص بمعيارين هما:

–الإدراك الجمالي لدى المتلقي.

–الخبرات الماضية التي تستدعى لحظة التلقي.

فجمالية التلقي عنده لا تسمح فقط بإدراك المعنى أو شكل العمل الأدبي في الإطار التاريخي، بل تفرض عليه إدخال العمل الفردي في العملية الأدبية، للتعرف على وضعيته التاريخية ودلالته في سياق تجربته للأدب.[1]

ومن هذا المنطلق نجد أن (ياوس**Hans Robert Jauss**) أقام نظريته على المفاهيم الإجرائية الآتية:

[1]– محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي، دار الآفاق العربية، 2007، ص30.

4-1 أفق التوقع:

يركز (ياوسHans Robert Jauss) في منهجه على أفق التوقع لفهم التاريخ الأدبي للمتلقي، فهو عبارة عن مجموعة من العلاقات التي تتكون لدى القارئ أثناء القيام بقراءة نص معين، فعملية التواصل –إذن– تحدث بين النص والقارئ الذي يسعى لملء الفجوات بما يمتلك من خبرات سابقة، وخلفية ثقافية كامنة، فيواجه النص الجديد الذي هو عبارة عن نسيج من الفضاءات والفجوات التي يجب ملؤها، وهذا ما يؤكد حدوث عملية التفاعل بين القطبين(بنية النص والمتلقي).

وعليه فإن الأفق وحده المعول عليه بالسماح للمتلقي بالقراءة الفاعلة دون توجس أو خوف من الغموض والإبهام المفترض، كما أن أفق التوقع يختلف من قارئ إلى آخر، وذلك حسب تكوينه وميولاته ورغباته، وخبرته الاجتماعية والثقافية التي يحملها، وكل هذا يشكل مخزونا لدى القارئ يتلقى النص على أساسه، ويتشكل لديه أفق التوقع حيث يعمل النص على إخراجه.

وكلما اختلف التوقع تعدد التأويل الذي لا يعطي المعنى النهائي للعمل، بل يصبح النص حاملا لمعان غير متناهية، وحتى نتمكن من فهم النص لابد من انصهار الأفق بعضها مع بعض من الماضي إلى الحاضر.

4-2 المسافة الجمالية:

تمثل هذه المسافة الفرق بين كتابة المؤلف وأفق توقع القارئ، أي هي تلك المسافة الفاصلة بين التوقع الموجود لدى القارئ والعمل الجديد، وقد عبر عنها (ياوس Hans Robert Jauss) بـ(تغيير الأفق) أو (بناء الأفق الجديد)[1]

[1]– محمود عباس عبد الواحد، مرجع سابق، 32.

وتتحقق الجمالية بمدى حصول الخيبة لآفاق انتظار المتلقين، إذ تلك المرضية لآفاق انتظارهم الملبية لرغباتهم هي آثار عادية جدا، وذلك لأنها نماذج تعود عليها المتلقي.

وعليه يمكن تمييز ثلاثة أفعال لدى القارئ:

4-3 الاستجابة:

ويترتب عليها الرضى والارتياح، لأن العمل الأدبي يستجيب لأفق التوقع لدى القارئ وينسجم مع معاييره الجمالية.

4-4 التغييب:

ويترتب عليه الاصطدام، لأن العمل الأدبي خيب أفق القارئ، فخرج عن المألوف إلى الجديد غير المعتاد.

4-5 التغيير:

ويتمثل في تعذر إيجاد قياس للخيبة الحاصلة من تصادم أفق الانتظار مع عمل ما، وهو ناتج عن النقد الموجه لمحاولة(ياوس)إبراز القيمة الجمالية المتولدة عن التعارض بين العمل والأفق، بسبب المفارقة -التي يراها النقاد- في اتخاذ الجمالية من الخيبة.

4-6 التجربة الجمالية وشرط المتعة:

هي المرحلة المكملة لنظرية جمالية التلقي، إذ يربط روادها بين العمل الأدبي والمتعة أو اللذة الجمالية التي تحدث لدى القارئ، فهي لذة القراءة أو لذة القارئ، ولا تتحقق هذه اللذة أو تتكامل إلا من خلال التذوق الجمالي، ولكن مسألة الذوق أثارت مناقشات عديدة وواسعة -قديما وحديثا-ولم تحض بالاتفاق، لأن فعل الذوق مشروط بعناصر متغيرة، فهو فعل نسبي لدى المتلقين، ولا تحكمه ثوابت على مستوى الموضوع ولا على مستوى المتلقي، مما يدل

على أن المتغيرات هي التي تقدم هذا الذوق وتمنحه قوة أو ضعفا ليكوّن أذواقا لها حيثيات تقنية وثقافية وموضوعية، تتمثل في صورة قيم أو تحيل عليها .

ويربط (ياوسHans Robert Jauss) متعة القارئ بمتعة الغير، إذ يقول "فمتعة الشخص نفسه تكمن في متعة الآخرين، ويحدث ذلك بانتقال سلطة المؤلف في ملكيته للعمل الأدبي إلى القارئ، ليضفي عليه بدوره تلك الجمالية النابعة من اندماج ذاتين هدفهما تحقيق الجمالية لبنية النص المشتمل أصلا على الجمالية."[1]

فكل خطاب أدبي رفيع لا يمكن إلا أن يتوفر على درجة من الشاعرية التي تضفي عليه جمالا ورونقا، وهذا وحده كاف لاستمرارية عملية القراءة النوعية للعمل الضمني داخل النص ذهب (إيزر) إلى دراسة الاستجابة من خلال تفسير وتحليل عمل الفجوات في تنشيط التفاعل بين النص والبنية الإدراكية للقارئ.[2]

1- "ولما كان القارئ يحظى بكل هذا الاهتمام من طرف نظرية التلقي، فقد تعددت نماذجه بتعدد النص الإبداعي الناتج عن القراءة بحسب الاختلاف في الدرجات بين القراء المفترضين داخل بنية العمل الأدبي"1 وأهم هذه النماذج ما يأتي:

5-أنواع القراء عند رواد نظرية التلقي:

5-1 القارئ المثالي:

وهو بنية تخييلية، إذ لا يمكن إيجاد نموذج حقيقي لهذا القارئ، لأنه يفترض فيه أن يكون ذا مقاصد مطابقة لمقاصد المؤلف، ليتمكن من فك كافة الرموز في النص دون مواجهة أي نوع من الإبهام أو أي تأثير تاريخي من شأنه أن يغير وجهة النص.

[1] - أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، ص 83.

[2]- المرجع نفسه، ص 84

5-2 القارئ المعاصر:

يتحدد مفهومه بكيفيات تلقي جمهور معين للنص الأدبي، ومجموع وجهات النظر المتعلقة بهم في كل فترة زمنية، فهذا القارئ ذو علاقة بتاريخ التلقي ومدى انعكاسات ردود أفعال الجمهور على الأدب، إذ ما يطلقونه من أحكام معينة تعد ذات أثر بالغ في تشكيل العمل الأدبي وفقا لأذواقهم وشروطهم الاجتماعية التي يتماشى معها.

5-3 القارئ المقصود (المستهدف):

وهو بنية متخيلة يتضمنها النص، يشترك فيها المؤلف والقارئ معا، إذ الظروف التاريخية التي أثرت في المؤلف هي المتحكمة في تكوين القارئ المستهدف من طرف المؤلف، ولذا فهو يعيد بناء مقاصده من خلال هذا القارئ، ليستمد النص شكل تقديمه بناء على نوعية هذا القارئ الذي يتوجه إليه.

5-4 القارئ الجامع (النموذجي):

هو الوحيد الذي يمتلك كفايات يستطيع بها أن يقيس شعرية النص من عدمها، لأنه يعي مختلف الانزياحات الخارجة عن ضوابط اللغة، ولذا فإن الواقع الأسلوبي يحتاج مثل هذا القارئ المتبصر.[1]

5-5 القارئ الضمني:

ويرى الدكتور بالمليح أن "أمبرتو إيكو" هو أول باحث حدد هوية هذا القارئ، إذ يمثل المقصد الذي يوصله نشاطه التعاوني إلى استخراج ما يفترضه النص، ويعدنا به لا ما

[1]- أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، ص97.

يقوله النص في حد ذاته، إضافة إلى ملئه الفضاءات الفارغة وربطه ما يوجد في النص بغيره مما يتناص معه.[1]

ولعل هذا القارئ شغل مساحة مهمة من فكر منظري التلقي، لا سيما "إيزر" الذي فصل في مفهوم هذا القارئ، إذ يرى أنه: "مجسد كل الاستعدادات المسبقة الضرورية بالنسبة للعمل الأدبي كي يمارس تأثيره، وهي استعدادات مسبقة ليست مرسومة من طرف واقع خارجي وتجريبي، بل من طرف النص ذاته، وبالتالي فالقارئ الضمني كمفهوم، له جذور متأصلة في بنية النص، إنه تركيب لا يمكن مطابقته مع أي قارئ حقيقي"[2]

وقد بيّن "روبرت هولب "أن "إيرز" نسخ مفهوم القارئ الضمني عن مفهوم "المؤلف الضمني" لـ"واين بوث" في كتابه: "بلاغة الفن القصصي"[3]

تعقيب:

وعموما فإن الاحتفاء بالقارئ عند رواد نظرية التلقي واكبته نظرة جديدة إلى هذا القارئ، نظرة تهدف إلى تجاوز سلبيته التي راكمتها قرون إهماله، فغدا صاحب فعل جديد يصل إلى حد المشاركة في صنع المعنى لأن[القارئ الذي يتوقف عند مرحلة فهم المعاني اللفظية أي العلامات اللغوية داخل أنساق يحكمها قانون التوحد بين طرفي العلامة، ليس هو القارئ الذي يتحدث عنه أصحاب نظرية التلقي، لأن هذا القارئ لن يكون قادرا على "ملء فراغات النص"، وقيام القارئ الفراغات هو جوهر التلقي][4]

إن الحديث عن المعنى عند رواد التلقي يجرنا إلى تحديد مفهوم الفراغ أو الفجوة، مفهوم ارتبط ب"رومان أنجاردن" الذي رفض في فلسفته الظواهرية ثنائية الواقع والمثال في تحليل المعرفة، ورأى أن العمل الفني الأدبي يقع خارج هذه الثنائية، فلا هو معين بصورة نهائية،

---

[1]– أمبير إيكو: القارئ في الحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، ص 101.

[2]– محمود عباس عبد الواحد: قراءة النص وجماليات التلقي، دار الآفاق العربية، 2007، ص45.

[3]– المرجع نفسه، ص49.

[4]– المرجع نفسه، ص51.

ولا هو مستقل بذاته، ولكنه يعتمد على الوعي ويتشكل في هيكل أو بنية مؤطرة، تقوم في أجزاء منها على الإبهام الناشئ عما تشتمل عليه من فجوات يتعين على القارئ ملؤها.

إن الهيكل أو البنية المؤطرة التي يتحدث عنها "أنجاردن" تتشكل من أربع طبقات للعمل الأدبي هي: [أصوات الكلمات، معاني الكلمات، الأشياء التي يمثلها النص، والجوانب التخطيطية][1]

فإذا كانت الأشياء في الواقع لا تحتمل غير معنى واحد ومحدود ومعروف، فإنها على النقيض من ذلك في العمل الأدبي، بل ينبغي لها أن تحتفظ لنفسها بدرجة الإبهام، وهذا الإبهام يقوم القارئ بتحديده، وهو ما يصطلح عليه "التحقق العياني"

إلا أن ملء الفرغات يختلف باختلاف قدرات القراء: [ولكن القراء في ممارستهم عملية التحقق العياني يجدون يجدون الفرصة كذلك لإعمال خيالهم، وذلك بأن ملء الفراغات بأشياء محددة يتطلب قوة إبداعية، يضيف إليها أنجاردن المهارة وحدة الذهن كذلك][2]

[1]– أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، ص103

[2]– أمبرتو إيكو، المرجع نفسه، ص105.

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية للرواية "فيض وجع وحنين"

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية للرواية

1. الزمان:

رأت هذه الرواية النور ومضت تشق طريقها نحو القارئ والناقد معًا سنة 2023، في طبعتها الأولى غير أن بعض نصوصها تسللت إلينا(القراء)من خلال الفضاء الأزرق، والذي يتيح للقارئ والكاتب التفاعل مع النص تأثيرا وتأثرا، فتجد القارىء يشحن بالنص فيحجم عن إبداء الرأي أو تراه يتفاعل فيبدي الرأي تشجيعًا وثناء على الكاتبة، وربما يدفعها قدما إلى المزيد من الإنتاج.

تبدأ الرواية في سرد أحداثها من السبعينيات الفترة التي تلي الاستقلال حيث لا كهرباء في المكان، لأن ونوغة رأت نور الكهرباء سنة 1976، ثم تعود بنا إلى سنوات الاستعمار بالتحديد إلى عام الشر أو ما اصطلحت عليها بعض الأعمال الأدبية الجزائرية – سنوات الجمر–1868م حيث حصدت أرواح الجزائريين جوعًا بما يفوق السدس أو أكثر، فعمد معظم الناس إلى النّزوح نحو الشّرق حيث عملوا في مزارع الكولون –آنذاك–وحتى في بيوت الفرنسيين، أضف إلى تفاقم الهجرة إلى الخارج.

إلا أن الكاتبة جعلتنا نتنقل عبر الزمن، فهي تروي أحيانا تفاصيل حياتها اليومية وتنقلاتها، ومرة تعود بنا إلى طفولتها الجميلة–وهو الزمن الفعلي للرواية–وتطير بنا إلى بعض التفاصيل في القديم حيث تروي بعض معاناة سكان المنطقة .....تلك هي جماليات السرد في الرواية، والتي تجعل القارئ يطير عبر كبسولة الزمن التي تتيحها الكتبة الحذية، دون أن تشعر القارئ بالانقطاع مواصلة سردها كي تنقلك إلى عالمها.

يتنوع زمن الرواية فلا يشعر القارئ بالملل، حيث أن هذا التنوع أو –تكسير بنية السرد–لا يجعل للقارئ مجالا لتخيل الحدث الموالي، فيبقى متشوقا للحدث الموالي.

في فصل الشتاء:

يخرج الجميع لجني الزيتون، فينقسمون مجموعات، فالصغار يلتقطون الحب المتناثر، أما الشباب فيتسلقون الأشجار العالية ويهزونها حتى تتخلى عن أبنائها لصالحهم، أما العجائز فتتكفلن بفرز الحب فهن يعرفن كثير الزيت من لذيذ الطعم حسب اللون والحجم يتخلل كل ذلك أهازيج وأنغام عربية وقبائلية وسط ألفة مجتمعية منقطعة النظير.[1]

يتناول الجميع غداء يقتسم بالتساوي بين الأفراد وهو عبارة عن خبز وبيض مسلوق وحبات تين مجفف، وفي المساء يجمع المحصول في أكياس من الخيش ويزن كل واحد ما التقطه لكي يأخذ أجره، يحملها الرجال في بعض سيارات الشحن، ويقفل الكل عائدين إلى البيوت في انتظار يوم جديد وهكذا.. ماعدا يوم السوق الأسبوعي والذي يوافق يوم الثلاثاء وخلال الأيام الماطرة فلا خروج للحقول.

في هذه الأيام الشتوية تنزل "عيشة "ضيفة على أخيها "السعيد" الذي تقيم معه والدته "بروكة" عزيزة كريمة هي وضيفها وكل زائريها، ففي فصل الشتاء تنشط حركة النقل نحو "مايو" القبايل حيث لا عمل في ونوغة غير الحرث، وانتظار فصل الربيع كي يدب النشاط في السكان من جديد، ولأن القبايل شتاؤه ممطر ودافئ نسبيا، يفضل كثير من الناس زيارة الأقارب هناك لأغراض شتى، فهذا للعلاج، وآخر للعمل، وكثر للدراسة، فونوغة تمتلك مدرسة وحيدة إرثا استعماريا وهي بعيدة عن سكان المناطق الجبلية في تتوسط البلدية "المركزية" لا متوسطة ولا ثانوية.....إلا الكثير من الرجال يسافرون إلى هناك بغرض التجارة والتسوق، فأهل ونوغة يجيدون صناعة الخلفاء، بينما القبايل يحتاجونها في هذا الوقت، خاصة القفاف بأنواعها وحتى بعض الأغراض التي تستعمل في عصر الزيتون

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، أدليس بلزمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2023، ص31.

وبعض الأفرشة التقليدية "الحصير" لأن الحلفة نبات سهبي فهو لا ينمو هناك، وفي المقابل يقتني الأهل الزيت، والتين المجفف، والماعز .....

ما أثقل الشتاء في المناطق الجبلية، فحينما تثلج تخطىء كل التكهنات في مدة بقائه، فالكل يترقب فتح المسالك فتنفذ المؤن وتؤجل كل المشاوير إلى أن يأذن الضيف الثقيل ويقرر الانزياح من تلقاء نفسه، في مثل هذه الأيام أجرت "مليكة" العملية فقد قطع جزء من كبدها، رأت الضعف والوهن في غياب كل من تعرفهم، إلا أن الله ساق إليها الممرضة الرحيمة كي تعينها على بعض أمورها.

فصل الربيع:

"الربيع في بدايته وقد فاض بجماله من اخضرار الزرع والتلال وتفتح الأزهار، فينصب الرعاة خيامهم للرعي بمواشيهم.....كما تخرج العائلات للتنزه... تقوم النساء بجمع ما يشتهينه من الخضر والأعشاب لتحضير أطباق تقليدية مختلفة....كما يتفقن على الخروج إلى منابع الماء لغسل الصوف ..."[1]

في الصيف:

ومع بداية الصيف تمت الخطبة بحضور الخال "السعيد" ووالد إبراهيم وزوجته وأختها، ولأن المسافة بعيدة اختصروا كل المراسيم في حفل واحد، واتفقوا على أن العرس عقب الانتهاء من الحصاد والدرس بداية خريف 1970.[2]

تمضي الأيام بسرعة البرق، وكأن السعادة لا تدوم طويلا، مض أكثر من ثلاث سنوات على اجتماع العائلة حين قرروا البحث عن عروس....اليوم الثلاثاء مساء والناس تتأهب لجني الزيتون، تجلس العائلة بعد الغداء كل من جلس في المرة السابقة لكن بحضور

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص33.

[2]– المصدر نفسه، ص35.

العروس "مليكة" يسمع الجميع قرار الطبيب، فيمدح الجميع رأيه، وأنه ناصح وأنه يعرف وأنه.....بينما تمتد يد "مليكة "إلى رضيعها وتجهش بالبكاء، بينما الجميع يطمئنها ويشجعها، وفي الغد تقف سيارة الإسعاف أمام منزل عمي "عيسى" ويتجمهر كل الصبية أمامها وكل الجارات يلوحلن لها، ودعوات بالشفاء تلهج بها الألسن.....

السّبيل إلى المستشفى:

صخب كبير يحدثه صوت سيارة الإسعاف التي أرسلها الطبيب، اتجه إبراهيم إليها وفتح الباب، خرجت "مليكة "وهي تتفادى النظر إلى الأعين المحدقة، دخل الخال "السعيد" وقال لها: ‹هيا بنيتي حان موعد السفر› بينما التفتت إلى الجميع قائلة: ‹ادعولي›[1]بصوت أجش وهي تتناول لحافها لتلبسه، وقبل الخروج سلمت على رؤوس الجميع طالبة منهم السماح، صعدت بمساعدة من زوجها الذي رافقها ومعهما الممرض، استلقت على السرير وهي تمسح دموعها وشهقاتها تخترق سكون المكان، وصورة رضيعها لا تفارقها إلى أن غفت ونامت، لم يوقظها إلا صوت الإسعاف المزعج ومعنوياتها المحطمة، وشعور بالدوار والغثيان، لكن إبراهيم كان يسندها إلى أن وصلت.

أول يوم في المستشفى:

أجرت الفحوص الأولية اللازمة، وبعد ما اطلع الطبيب على التقرير الطبي، تم إرشاد المريضة إلى المكان المخصص لها حيث كانت معها مرافقة تقاسمها الغرفة، لازالت دهشة "مليكة" تعقد لسانها فالمباني العالية وأشجار الورود والممرضات بلباسهن القصير الذي لا يتجاوز الركب، ووجوههم الملطخة بأحمر الشفاه والجمع الغفير من المرضى من مختلف الأعمار هون عليها مصابها، وملازمة زوجها لها حتى أجلسها على سرير المستشفى وشد عزمها، رمم بعض ما انهدم في نفسها الهشة، فراحت تتحدث مع جليستها وتقدم لها العون أحيانا.

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص58.

الزّمن في المستشفى:

تمضي الأيام كئيبة بلا طعم ولا لون بين وقوف أمام النافذة، والتمدد على السرير، وأنين المرضى الذي يخترق هدوء الليل، فلا طعم للنوم ولا راحة تضاهي راحة البيت، وفي الصباح تنبعث رائحة القهوة في الرواق، فيقترب كل من يمكنه المشيء كي يجدد الطاقة ويبدد الكسل !وترقب عند الباب كلما رأت هرولة الأطباء والممرضين إلى غرفة معينة، أو صراخ أحد الفاقدين لأهلهم وذويهم، مشاعر حزينة ترافق المقيمين في المستشفى، حتى الأنغام والترانيم التي تتسلل إليهم لا تبعث على الفرح، بل تجعل العبرات تنسكب، خاصة أن مليكة بعيدة عن الأهل، وقد فاقم تساقط الثلج من الوضع السيء أصلا، والمريضة تجري تحاليل وفحوص وصورا للأشعة يوميا وهي تدرك أن موعد العملية يقترب، مضى أكثر من أسبوع على مكوثها وقد غادرت رفيقتها في الغرفة مما عمق وحدتها، وهي تراقب توافد الزائرين على ذويهم، [ألقت نظرة من النافذة كي تراقب شجرة نثر الخريف أوراقها وإذا بإبراهيم قد دخل الغرفة ووضع القفة بهدوء، وبقي ينظر إليها إلى أن لمحت وجوده.....][1]وألف سؤال وسؤال يخطر ببالها معظمها عن رضيعها فتدرك في قرارة نفسها أنها هي من تحتاج طفلها، بينما الصغير فهو مدلل لدى كل أفراد العائلة، فتخيل أن "عبد القادر "نسيها يعمق جراحها ويضنيها، غير تكرار الإقامة في المستشفى يختلف عن المرة السابقة دائما، ففي أول مرة تكون الدهشة، والحياء والانطواء وحتى الشعور بالضياع .....بينما اعتياد الأمر يهون علينا بعض المصاعب، فيصبح المريض ليس أسيرا لدى سريره بل يتنقل في الأرجاء، يقدم المساعدة للغير، يصبح مألوفا لدى الطاقم الطبي، ويسأله عن وضعه دون حرج.....كل هذا لا يبدو غريبا، لكن بعض الغرابة تبدأ بالتبلور في مجتمع ريفي نسوي يحسد بعضه حتى على الوجع، فهن يحسدن "مليكة أن حظيت بإبراهيم زوجا لها، وعن الدلال الذي تناله من كل العائلة خاصة "عمي السعيد" الذي عاملها معاملة بنت البيت، فهن يتهمنها بتصنع المرض وأنها لا تشكو من شيء، ففي عقيدة المجتمع–آن ذاك–كل جميلة، كحيلة العين،

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص64.

أسيلة الخد، جميلة القد ولودة فهي مدعية للمرض ولا تشكو من شيء، كانت تسمع كل هذه الإتهامات غيبا، فتعدل من هندامها وتشد منديلها بعد أن تلقي نظرة خاطفة على مرآة معلقة في الجدار، وتدخل عليهن مبتسمة وكأنها لم تسمع شيئا.....تاركة الخلق للخالق.

2. المكان:

"**ونوغة** ":

هي مسرح بعض أحداث هذا العمل وهي مكان جميل يجري الماء في أزقته، ويسقي الحقول والبساتين التي تفنن أصحابها في تنويع محاصيلها، يتسلى الأطفال كثيرا يوم الثلاثاء الذي يوافق يوم السوق الأسبوعية، فهناك يلتقون بالأقارب فيحنوا الكبار على الصغار في هذا اليوم.

إلا أنها تفتقر للكثير فلا كهرباء، شتاؤها قارس البرودة وكل الناس تصنع كانونا في أرض المنزل، وكل الفصول مناسبة لجمع الحطب، والشتاء كفيل بالقضاء على كل الجهود.

غير أن موسم الأعراس مع بداية الربيع يجعل الكل ينسجم ويتناغم مع المنطقة، فالبساطة والجمال وعدم التكلف تلقي بظلالها على أبناء الدوار وعلى الغرباء، يتشارك الكل في التحضير بطيبة منقطعة النظير.

"**مايو**"**امشدالة**:

"إلا أن أغلب أهل المنطقة ألفوا مغادرتها مع بداية الشتاء إلى "مايو" امشدالة بولاية البويرة للعمل في حقول الزيتون فيقيمون هناك مع من سبقهم إلى هناك منذ سنوات الأربعينيات هربا من بطش الاستعمار فانصهروا مع المجتمع القبائلي في بوتقة واحدة"[1] لقد اعتاد أهل المنطقة الواحدة تأمين المأوى والعمل في بلاد الناس كنوع من التضامن، فنجد أحياء كاملة للعرب في بلاد القبائل، ومثلها في بلاد النصارى، يتفقدون احتياجات بعضهم

[1]– المصدر السابق، ص24.

إلى أن يفرجها الله عليهم–في الزمن الجميل–عشق المكان وسحره والذكريات الجميلة والتصالح مع الماضي، جعل الكاتبة تنقل لنا تجربتها وتغرينا بها: "يشدنا الحنين إلى زيارة امشدالة تلك المدينة الحالمة بين أحضان جرجرة الشّماء لنقف بين جنباتها على أطلال ما بقي لنا فيها من ذكريات قديمة"[1]المجتمع القبائلي رغم انشغاله بجني الزيتون إلا أنه يحافظ على عاداته الموروثة بتنظيمه كل جمعة وليمة كبيرة في المساجد تعرف ب"الزردة"

منزل "مليكة":

من جهة أخرى يقع منزل البطلة "مليكة "في مكان مرتفع، يطل منزلها على كل البيوت المنخفضة، إطلالته تشفي العليل وتمتع الناظر، ليس بعيدا عن البيت وفي منخفض منه شجرة خروب عملاقة يلعب الأطفال في ظلالها جيلا بعد جيل، حتى اعتاد الناس تسمية ذلك الحي بهذه الشجرة "الخروبة"، أما إذا واصلنا السير إلى الأعلى فبيتها الأقرب إلى "المقطع" أحد منابع الماء الذي يبعث الحياة في المنطقة.

المقطع:

تواعدت النسوة على الذهاب "للمقطع"، ولأن النسوة تستأنس ببعضها رافقتهم "فاطمة وابنتها مليكة"، وهناك يسود جو من السرور والمرح، فيتحدثون عن كل الأمور، وهناك بعض البنات من يصدحن بالزغاريت، وبعضهن يطلب منهن أن يسمعن الحاضرين بعض الأشعار، فتبدأ "مليكة" في قول ما اجتهدت في حفظه سماعا عن الإذاعة الوطنية، وكل واحدة تطلب منها أن تعيد عل مسامعهن ما يروقها، فتجيبهن إلى ما طلبن، في هذه الأثناء لفتت انتباه الخالة "عيشة" وفي طريق العودة أسرّت "عيشة "إلى "فاطمة "بالموضوع.

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص26

القرية:

هو المكان الذي يحتضن "مليكة" وهناك يقام العرس في منزل "سيدي السعيد" لاتساعه أما منزلها فيقع بالجوار، تمر الأيام سريعا وتألف البنت المكان، هذه لطالما آوت الكثيرين من طلاب العلم، وطالبي الشغل، وطالبي العلاج، إلا أن أفرادها لم يتذمروا يوما من كثرة زوارهم، أو طول مدة إقامتهم بينهم، فهم يمارسون أعمالهم اليومية، بل وحتى بعض الأنشطة اليدوية والفنية كالطرز وصنع الأطباق والمنسوجات.....

1-وهو مشروع تم تجسيده والاستفادة منه خلال سبعينيات القرن الماضي حيث وفر السكن اللائق للفلاحين عن طريق برنامج تنموي واعد، أمن للفلاحين الإقامة الدائمة بغض النظر عن مكان إقامتهم الفعلي، تتوفر هذه البيوت على أحواش، كل حوش غرس فيه نوع مختلف من الأشجار، في "السعيد شجرة برقوق كثيرة الثمار وارفة الظلال أصبحت تغطي كل الدار، أما حوش "عيسى" شجرة داليا عدل سقفها كي يعم البيت الظل، أما عناقيدها الكبيرة فتدنو من رؤوس ساكنيها مغرية إياهم بقطافها قبل أوانها.

في عيادة الطبيب:

إن الألم المفاجئ والمتكرر الذي بات يلتهم "مليكة" ويقلق راحتها، وهي الشابة الفتية والتي يملؤها النشاط والفرح، لا يستجيب لكل المسكنات التي تقترحها صيدلية الجدة "بروكة"، وأصبح الكل يقترح زيارة الطبيب والكل يشيد بخبرة الطاقم الطبي -آن ذاك-استجابت العروس لطلب الكبار ورافقت حماتها وعند وصولها تفاجأت بسيدة شديدة البأس سوداء البشرة، تسهر على تنظيم الدخول على الطبيب وتدعى: "خالتي فطيمة" ولما وصلهما الدور دخلت كلتاهما إلى "سي الحاسن" فاستمع إلى شكوى مليكة، وفحصها جيّدا وبدأ حديثا ثنائيا بينه وبين الحماة، الكلام غير مفهوم لكن تعابير الوجه تفضح المعاني، قرأت البنت كل التعابير على صفحات وجهيهما، كما أنها رأت حماتها تمشي على غير هدى فهي لم تنتبه للأشخاص الذين ألقوا عليها التحية، وكأنها قد حيل بينها وبينهم بحجاب.

عند العودة إلى البيت لم تخف الحماة حرصها على راحة زوجة ابنها، بل وعناية فائقة بالطعام ومواعيد الدواء، إلا أن المريضة تفقد شهيتها يوما عن يوم، على الرغم من أن الأمر غير واضح ومبهم بالنسبة لها.....

موضوع للنقاش:

تمضي الأيام الجميلة مسرعة بل في لمح البصر، قبل أكثر من ثلاث سنوات اجتمع أفراد هاتين الأسرتين كي يبحثوا لإبراهيم عن عروس! واليوم تجتمع هاتين الأسرتين وبحضور العروس لكن لمناقشة موضوع آخر، الكل يعلم بزيارة "مليكة" للطبيب لكن قرار الطبيب ظل طي الكتمان، يعلم به فقط الحماة والخال والجدة طبعا –خوفا على المشاعر– لكن لابد من الإفصاح فالموضوع لا يحتمل التأجيل، بدأ الحديث بسؤال الفتاة عن صحتها، ثم مدح الجميع خبرة وتمكن طبيب المنطقة ثم أسمع الخال قرار الطبيب فتفاجأ إبراهيم وأدرك خطورة الوضع بينما هي رفعت صغيرها الممدد على الأرض واحتضنته وسيل الدمع ينسكب على وجنتيها من أكثر من سبيل، في مشهد يفقهه كل ذي كبد رطب.

في سيارة الإسعاف:

لم تسافر الفتاة كثيرا، فقط مرة واحدة كانت في سيارة العروس، ومرتين أو ثلاث خلال زيارات إلى أهلها في ونوغة، كانت زيارات ممتعة لم تكد تشعر الفتاة بالوقت خلالها، بل حتى تمنت في قرارة نفسها أن تكون أطول، لكن هذه المرة لا تود الخروج، فهي لا تحبذ هذا النوع من الرحلات فولدها يثنيها عن الخروج، وكل محبيها وعائلتها، تردد كبير ومماطلة بل ربما الموت بينهم أهون عليها من الخروج إلى عالم يتخذ من المرارة سبيلا للحياة !ومن الوخزة والألم نافذة للنجاة !بعدما خرج إبراهيم وصعد إليها، دخل الخال "السعيد" يشد عزمها ويطلب منها التوكل على الله، في هذه الأثناء كانت تتجنب التركيز على أعينهم، وأخذت تسلم على جبين كل واحد منهم، طالبة منهم السماح بينما لاحظت استعجال كل واحد من الحاضرين إلى رفع المناديل كي يجففوا الدمع المنسكب، وعند مدخل الباب اصطف جمع

غفير من الأطفال كانوا قاصدين المدرسة الوحيدة فانشغلوا بسيارة الإسعاف، فأخذت تمسح على رؤوسهم طالبة منهم الدعاء ولما همت بالصعود مد زوجها يدة كي يعنها حتى استوت جالسة فمتكئة على السرير.....لا نبيلا نص البيضاء من ابعيد تعيط.....ياغاضني لحمي على الطابلة يتخيط.[1]

في غرفة المستشفى:

ضيّقة على رغم كبر مساحتها، تكتم على الأنفاس إلا أن لها إطلالة مضيئة ومشمسة تواجه حديقة واسعة أشجارها تعانق السماء، وأزهارها تبتسم في الوجوه العابسة مع كل إشراقة شمس، تصنع جوا جميلا لكن للأصحاء وليس للمتألمين الذين لا يرون من الورود سوى أشواكها، ولا يستفيقون إلا على رائحة الأدوية والعقاقير، يتعبهم النظر إلى هذا الجمال بنفس كئيبة وقلب جريح، فيتساوى لديهم الربيع مع الخريف، والشتاء مع الصيف، فقط هي أوراق تنشأ ثم تتساقط فتختصر لديهم جدلية "الموت والحياة" فيعبرون عن موت أحدهم ب"طاحت ورقته" وكذلك الشتاء والصيف يختصر لديهم موسم الأفراح والأعراس، وموسم البكاء والفقد والكآبة.....تتشابه سائر الأيام في هذا المكان، ويخطئ ساكنيه في عدها وتسميتها، فهم ينامون ويستيقضون على نفس النسق الممل والثقيل الذي لا يكاد ينتهي، يجرون خلاله الفحوص، والتحاليل والأشعة، يعرضون على خبراء الصحة فلا يتبينون لهم لغة إلا من خلال تعابير وجوههم، تتكاثر الزيارات على بعض المرضى، بينما ينزوي البقية محبطين يشكون حالهم لخالقهم فهو الأعلم بهم.

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص176.

3. الشخصيات:

"بلقاسم بوعويرة":

والد "مليكة "الشخصية البطلة في الرواية، هاجر إلى فرنسا كحال جزائريين كثر، بحثا عن لقمة العيش، إلّا أنّ الغياب طال دون زيارة ولا رسائل ولا دراهم ولا شيء، ترك سبعة وأمهم يضمهم السقف والجدران، ربما طاب له المقام هناك، وهو يدرك جيّدا أن لا أحد يموت من الجوع في "ملوزة"، ربما كان يتقلب في النعيم، أو في الجحيم فالرجال ينجحون دائما في إخفاء معاناتهم وآلامهم وهفواتهم، يظل الرجل رجلا طالما لم يظهر حقيرا أمام العدو والصديق، غاب الرجل حتى أصبح كهلا، وبعودته وجد زوجته أضافت إلى السبعة رقاب عشرة رقاب أخرى أو أكثر، بينما هو قد لمّع حذائه الجلدي، وزرّر معطفه، وغطّى شيب شعره بطاقية وبريّة ملساء تعلو الرأس ولا تغطيه تلك هي الموضة، يلقي منظره عليه هيبة لا تترك الجرأة لأحد يطرح عليه سؤالا غير بريء، أين كنت حين تزوج معظم أبنائك؟ أين كنت حين توفيت احدى بناتك؟ أين كنت حين امتطت زوجتك جناح الشّتاء فآوت إلى "مايو"؟ أين كنت حين آبت أم أبنائك على جناح الربيع إلى عشها؟ تقتات من أرضها وعرقها، بينما انشغل هو مجددا بالسفر إلى الحج.....[1]

"فاطمة":

والدة بطلة الرواية وهي سيدة في مقتبل العمر ذات حسن وجمال وروح مشرقة على الدوام، أم لسبعة أبناء: رابح، علي، الربح، مليكة وهي الرابعة في الترتيب ثم فتيحة وأحمد وسعيد.1لكن الأم لم تجد ما يسد جوع هؤلاء السبعة، غير عمل الصوف لبعض النسوة الميسورات في المنطقة، كان الأبناء يترددون على المسجد لتعلم القرآن، ويمضون باقي الوقت في اللعب تحت أعين أهاليهم، في كل موسم تترقب عودته وتسأل عنه كل من عاد

[1]– المصدر السابق، ص16.

من ديار الغربة لكن لا خبر فهم لا يعرفون له أرضا، ظلت المسكينة تكد وتتعب لتعيل الجميع، ولا وجود لمن يحميها أو يعينها في حملها الثقيل، أصبح أمر تزويج البنات الحل الذي سيخفف عنها بعض العبىء والمسؤولية، وقررت أن توافق على أول خاطب –هكذا كانت تحدث نفسها–وربما هذا ما يراه معظم أهل البلدة !اعتادت مجاورة ابتها في موسم جني الزيتون، فهي تطمئن على حالها كلما سمحت الظروف، وكانت تشد من عزمها في أوقات المرض والشدة، لكن في حدود المستطاع، في زمن لم يكن يسمح للسيدات بالتنقل إلا للعلاج

لكن "مليكة "طلبت على زيارة والدتها، ولأنهم يعرفون الموت وعلاماته، رافقوا المسكينة إلى ابنتها، غلب على اللقاء الدموع والشهيق والكلمات المتقطة التي لا يقوى المريض المتعب

على التخلي عنها أ.....م.....ا.....خ.....ا.....ل.....ت.....ي"

أنت يا لميمة زاهية اديري في لعراس.....وبنتك في سبيطار وجدولها لمقاص قولوا للميمة تتلحف وتجيني.....قنطة السبيطار هي اللي تديني أما جات الموت وداروا بيا الطبة.....ما غاضنيش البرسيون غاضتني موت الغربة[1]

"**مليكة**":

بطلة الرواية تمر الأعياد عليها كسائر الأيام باهتة، مع هذا الوضع كبرت سنها بكثيرعن أقرانها تجلس أمام المذياع في غياب أخيها "رابح" فتضبط موجته على القناة الوطنية، لمتابعة برنامج "أبحاث في فائدة العائلات"....لا لشيء فهي تستأنس بما يشبه وضعها في فقدانهم لذويهم، ولطالما أقنعت نفسها بأن أغنية "وردة بيضاء "تغني لها، وتعنيها حتى عرفت بها–تلك هي حال الصبيات في عمر الزهور–لكن كان للغيب رأي آخر، الأغنية الموالية هي من تغنيك، تبكي ولا تفرح "يا الصحة يا الصحة يا عدوة مولاها".

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص177.

يشبه وضعها في فقدانهم لذويه1تزامن نضج مليكة مع اشتهار أغنية رابح درياسة "وردة بيضاء" ولبساطة التفكير كان الجميع يلقبها بالوردة البيضاء وتجد هي في ذلك تسلية....أصبحت ترتدي "الحايك" بعد الزواج، وهو ما يفرق به الناس بين المتزوجات والبنات، تترد عائلها على منزل "عمي السعيد" كل يومين أو ثلاث، فتستوقفهن النسوة بالحديث بينما هي لا تدرك ما يقولونه إلا من خلال أجوبة "لالا فطيمة" أو "السعدية" وتكتفي بالابتسام، كانت لا تجيد القراءة إلا ما فتح الله عليها به من بعض سور القرآن، لكنها بالمقابل تجيد الاستماع فتبدع إن تكلمت، لكنها قلما تثرثر، تصغي جيدا للمذياع فتبدد كل شوق وكل وحشة ذلك هو أسلوبها.[1]

استأنست كثيرا بموضوع حملها كغيرها من الأمهات، وانتظرت قدوم أول مولود لها كي يؤنس وحدتها الليلية، خاصة وأن زوجها عمله ليلا! لكن ما نغصت لياليها أوجاع غريبة خيمت على حياتها الهادئة والجميلة.

عند أول زيارة للطبيب بخصوص موضوع مرضها لم تفهم "مليكة" الحوار الذي دار بين حماتها والطبيب، لكنها كانت تجتهد في ترجمة تعابير وجه حماتها، كما أنها لاحظت شرود ذهنها في الطريق، فليس من عادتها أن لا ترد على من يسلمون عليها

"**الخال السعيد مزيتي**":

حاتم الطائي كما يحلو لسليمة أن تناديه، ودلالة الاسم تغني عن الشرح فهو كريم يكاد يكون حاتما، يرتدي قبعة يضعها على عينيه إذا أراد النوم، نشيط وحيوي إلا أن المرض والكبر أنهكاه فأصبح لا يقوى على الوقوف) ذكرته "مليكة "في قصيدتها:

"يا سيدي السعيد ويلا عينك فيا.....عينك على وليداتي العزاز عليا"

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص18.

وهو الأخ غير الشقيق لوالدة "إبراهيم"–زوج "مليكة"–كما كان عونا وسندا للكاتبة في هذا العمل حتى رأى النور، وهي لا تخفي فضله فطالما سألها عن حالها بينما هي تسأله عن الماضي.....يرحب بالحاضرين وهومن يقترح المساعدة، فهو يعرف الخجل الذي يلجم لسان العروس، ويرأف لحالها وبعدها عن الأهل فيقترح عليها أخذها في زيارة قصيرة إلى البلاد، فهو يقود سيارة الجمعية ويقدم من خلالها العون كلما استطاع، وفي لمح البصر يحضر السيارة ويجلس والدته إلى جانبه، والعروس بمحاذاتها هذه الزيارة تصادف نتائج التعليم الابتدائي، ومليكة تتوقع نجاح أخيها "السعيد".

لقد عوضها وجوده عن الوالد المفقود، لطالما قطف أجود أنواع التين والعنب وملأ بها سلة الدوم وغطاها بأوراق التين، كي يفاجيء بها مليكة[1]

أول من علم بمرض "مليكة" من أخته "فطيمة" ثم من الطبيب "سي الحاسن" وهو الذي لعب دور الوالد، في يوميات العروس الصغيرة، رأفة وشفقة على حالها، واليوم يتوجب عليه أن يشد عزمها ويزرع فيها الأمل كي تتماثل إلى الشفاء، ظل يشكل النموذج الأمثل للوالد الغائب، فحضوره في حياتها يصنع الفارق دائما، فقد وفد عليها وهي في المستشفى كي يفاجئها ويدخل عليها بعضا من السرور والبهجة يحمل كيسا من الفاكهة –كعادته– طمأنها على صغيرها وأخبرها أن لا أحد يعلم بزيارته هذه فمفاجآته للجميع.....لقد زارها مرة بعد إجرائها للعملية وقد تماثلت للشفاء نوعا ما، وجدها جالسة على حافة السرير بجانب مريضة أخرى، فراح يمدح اجتماعهما ويقوي إيمانهما ويسأل عما تحتاجان إليه قبل المغادرة،

"زوجة الخال السعيد الزهرة":

والتي أخذت عنه حب الكرم والواجب، غير أن الزمن أنهكها بعدما شهد لها كل زائر للبيت –على كثرتهم – أنها تطعم وتفرح بقدوم كل شخص صغيرا كان أو كبيرا.

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص177.

قلها يا الزهرة وأنت لخية.....اتهلاي في عبد القادر هو بكريا[1]

"**السّعدية**":

وهي أخت زوج "مليكة"–العمة–وهي حنونه لطالما أوصتها المرحومة بأبنائها، كانت في الحادية عشر من العمر، ممتلئة الجسم بيضاء البشرة، عيونها رمادية، وضفائرها صفراء ذهبية.

"**الجدة برّوكة**":

وهي معالجة لبعض الأوجاع بما تملك من الخبرة البسيطة المتوارثة، جيلا عن جيل في زمن كان الذهاب فيه إلى الطبيب ضربا من الخيال، أو نوعا من السفور الزائد والدلال خاصة النساء! في تجيد معالجة آلام الظهر، والمفاصل، وبعض الكسور.....لكنها أصبحت كبيرة فهي لا تقوم حتى تعتمد على يديها وهي فارعة الطول، ذات جسم مكتنز تلف رأسها بعمامة بيضاء فوق منديل أسود مخطط، تغطي رقبها بقطعة شفافة صفراء ورقيقة، وعلى خصرها حزام من خيوط الصوف ملون.*

"**الأم فطيمة**":

وهي ابنة الجدة "بروكة" وأخت الخال "السعيد" وهما متجاوران في السكن، وهي امرأة هادئة قليلة الكلام صاحبة واجب، توزع الأعمال على ابنتها وكنتها دون محاباة فهي امرأة تخاف الله، وكل عمل صعب أو ثقيل تقوم به هي، لقد ضاقت الأرض بها عندما علمت أن كنتها تحتاج الدخول إلى مستشفى العاصمة، ولمدة طويلة لقد كتمت الأمر عن الجميع، لكنها لجأت إلى أخيها السعيد أخبرته بالأمر، وكلفته بمراجعة الطبيب كي يفهم الموضوع

[1] – سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص177.

* حزام تقليدي يرافق الزي القبائلي.

أكثر، بينما هي كانت أكثر حرصا على راحة "مليكة" وأخذها الدواء والغذاء المناسبين في الوقت والحين.....

كان من حظها أن تربي حفيديها عند مرض أمهما وبعد وفاتها، ولازالت الأيام تخفي لها الكثير.

ويا لالة فطيمة يا وجه الهانة.....أنا صديت وخليتلك اليتامى[1]

"**الأب عيسى**":

وهو زوج "الأم فطيمة" وكنتهما البطلة في الرواية "مليكة" كان الجميع يعلم بقدومه حال اقترابه من المنزل من سعاله الذي يلازمه..... يقدس العمل رغم متاعبه الصحية، لطالما شعر بالاختناق خاصة في فصل الشتاء، فينقل على جناح السرعة إلى المستشفى لإسعافه، رغم معاناته إلا أن مسؤولياته تتكاثر، فهو لا يجد وقتا للراحة، فمكوث ابنة أخيه في المستشفى الذي يقع على قمة جبل في تيزي وزو، أثقل كاهله فخلال أربعة أشهر زارها مرتين، المستشفى يعج بالصغار الذين يرتدون زيا واحدا، لم يكن ليتعرف عليها في كل ذلك الحشد الآدمي الصغير، لكن هي كانت تتعرف عليه ولا يكاد ينتبه حتى تتشبث بركبتيه مخاطبة إياه ب"عمي عيسى" اعتاد الناس مناداته ب"عيسى بن روحو" فقد استقر بوالدته المقام وتزوجت هناك في الشرق، أما والده فمات لكنه كان يأوي الكثير من أبناء عمومته، ولا يضيق بهم ذرعا.....

"**إبراهيم**":

وهو شاب في العشرين –زوج مليكة–يعمل في مطعم ليلا في محطة القطار، لم يكن شابا كأبناء عصره، كان متفتحا يدلل زوجته كثيرا، كان يخجلها كثيرا، ولربما كان يود تعويضها عن الوالد الذي حرمت منه، ولربما لحكمة أرادها الله، إلا أن هذا الانسجام يروق

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص177.

الوالدة كثيرا فهي تود ربطه جيدا بالمنزل –قد أفلحت–إنه لا يتوانى عن تقديم العون لها في المطبخ، فعمله في المطعم جعله أقرب إلى زوجته، يلاطفها أمام الجميع فيزداد خجلها وهدوؤها وهذا جعلها محبوبة من الجميع، استقبل خبر مرضها بكثير من الصبر، حاول جاهدا تقوية عزيمتها وزرع الأمل فيها، رافقها وظل بجانبها لكن بحدود ما يسمح لهم الوقت آن ذاك، فالفقر والعوز مسلط في تلك الفترة على الجميع، فاجأها بالزيارة لكن بعد غياب طويل، لكن هذه المرة حال بينهما شتاء ثقيل وثلج رفض الانزياح عن السبل والمسالك، ولما تمكن من زيارة أم ولده كانت قد أجرت العملية ومضى على ذلك أكثر من أسبوع فلقاؤهما ساده صوت شهقات البكاء وليست الكلمات، لأن المرأة تغلبها الدموع فتخونها العبارت، إلا أن "إبراهيم" راح يشد عزمها بأن وقت الشدة تم تجاوزه، ويزف إليها بعض ما يسعدها، لقد أخبرها بأن "عبد القادر" قد نبتت له الأسنان.....فقد هون عليها ما تعانيه، حين ذكرها بابنة عمه "سليمة" التي تقبع هي الأخرى وحيدة في المستشفى.

قولو يابراهيم ويا ممو عينيا.....وكي لحقت الموت كنت بعيد عليا[1]

"**الخالة عيشة**":

وهي أخت الأم "فطيمة" تقوم بزيارتها كلما دعت الضرورة، وكذا تطمئن على حال أمها وأخيها، وهي التي أوكل إليها أمر البحث عن عروس لابنهم "إبراهيم" من البلاد–كما يقولون–

"**رشيد**":

وهو الأخ الأصغر ل"إبراهيم" طفل في الثامنة من العمر يدرس في المدرسة القريبة كغيره من الصبية، وهو الزوج المرتقب بعد سنوات لكاتبة الرواية "سليمة".

[1]– المصدر السابق، ص177.

"**يامنة**" وهي زوجة "رابح" الأخ الأكبر "لمليكة" نزلت ضيفة على منزل العم "عيسى" حيث مكثت مدة في مستشفى "مايو" وأبقت على ابنتها الرضيعة لدى عمتها "مليكة" وقد وفقت في حضانة الطفلة إلى حد بعيد، على رغم قلة خبرتها.

"**عبد القادر**":

وهو الابن البكر لإبراهيم، الذي وفد إلى الحياة بعد أكثر من عامين انتظار، والذي سرعان ما ألف حضن جدته من أبيه، وأصبح لا يبغي عنها بديلا.

"**سليمة**"

الطفلة ذات العامين والنصف تبدو أفضل من أخويها الذين أنهكهما البوحمرون، بل تبدو نشيطة وبصحة جيدة، بينما الطبيب رأى غير ذلك أدخلت إلى المستشفى بتيزي وزو، طالت مدة بقائها هناك سنة وربما أكثر، ووالد الطفلة في المهجر.[1]

هذه الحادثة سوف تضاعف من زيارات سليمة إلى بيت عمها، وستخط مستقبلها،

"**سي الحاسن**":

طبيب مناوب يشهد له أهل المنطقة بالتفاني في العمل والنصح، طويل القامة، ممتلء الجسم، ذو بشرة بيضاء وشعر أصفر، وعينان خضراوان، يعرف

معظم السكان ويسأل من حضر عن الغائب منهم، يحافظ على مشاعر المريض فهو يكلم مرافق المريض بالقبائلية، أو يطلب من المرافق العودة في وقت آخر كي يتكلم بصراحة ناصحا العائلة بما يجب فعله! الطبيب الخدوم لأهل بلده، كان موضوع حديث أروقة المستشفى، فهناك من يشبهنه بالفرنسي، وكثيرات يرفضن هذا التشبيه ويدافعن عنه وينزهنه عن كل قسوة أو تكبر عن أبناء بلده، فهو لا يفرق بين العرب والقبائل .....

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص48

"**السيدة فاطمة**":

وهي امرأة شديدة السمرة تتولى إدخال المرضى بنظام وهدوء، ولا تجامل أحدا لسانها لاذع، جادة في عملها إلى أبعد حد.

"**المرافقة**":

وهي من تتشارك الغرفة مع المريضة "مليكة" والسمة الواضحة لدى هذه الشخصية، أنها تتغير باستمرار فبعضهن ارتحن وغادرن المستشفى وبعضهن توفين، كانت "مليكة" تأنس بحال بعضهن ويتجدد لديها الأمل، وتكتئب وتنتكس كلما اختطف الموت إحدى شريكاتها في غرفة المستشفى، أبرزهن وأكثرهن تأثيرا فيها خلال فترات إقامتها مريضة بوسعادية، أصغر منها عمرا تتناول طعامها من فتق في رقبتها لا يمكنها لا الوقوف ولا الحركة مضى أكثر من سنة على وجودها هناك، ولم يزرها أحد، أخيرا وجدت "مليكة "عزائها فقد تعلمت منها الصبر والرضا.

"**الممرضة**":

لقد غادرت مرافقة "مليكة" بعد شفائها وأصبح السرير فارغا، فعمق هذا الفراغ من وحدتها أكثر فأكثر، لكن في هذه الأمسية قررت ممرضة مناوبة أن تنام في المكان، ودار بين الاثين حديث، جعل الممرضة ترأف لحال المريضة، فمنذ ذلك الوقت أصبحت تهتم بها وتقدم لها المساعدة والعون، حتى أنها أصبحت تمدح صوتها وتشجع أداءها، بل وتدوّن ما تسمعه كي تخبربه أهلها حال زيارتهم:

فرملية يا خيتي ق ازربي بيا.....أنا زوالي والطاكسي مكرية

فرملية ياخيتي الليل والنهار نوح.....كي يجي الطبيب أعطوني أيام نروح

فرملية يا خيتي دزيلي الوسادة.....وإذا بردو رجلية فكريني في الشهادة

فرملية يا خيتي صبيلي الحليب .....أنا مرضي من ربي والناس قالوا تعيزيب

فرملية يا خيتي هزيلي الريدو نستروح.....كي يجي الحكيم سرحوني نروح1

"**علي**":

وهو الأخ الشقيق لعمي "عيسى" مغترب في فرنسا، يعمل ويبعث بعض ما يكسبه إلى عياله منزله في ملوزة، بينما يتنقل أفراد عائلته بين القبائل والبلاد خلال المواسم والناسبات المختلفة، رجع في إحدى المرات برا مرورا بإسبانيا والمضيق ثم المغرب وصولا إلى داره، ومنها إلى القبايل حيث الأقارب ومن ثمة إلى والدته في الشرق عنابة، حاملا معه ابنته "سليمة" وكل العائلة خاصة وأن السيارات القديمة كانت كبيرة تتناسب مع تعداد العائلة، هذا المثال من أرباب الأسر –آن ذلك–يعتبر مضربا للمثل ويظل محل حديث كل زوجات المغتربين اللواتي يحلمن ولا يطلن شيئا من أحلامهن، ولا يفقن إلا على كوابيس الواقع المؤلم.

"**لخضر**":

هو أحد الصبية الموجودين في بيت عمي "عيسى" وهو حفيد أخيه الصالح، يدرس في المتوسطة وقد استعانت به "مليكة" في تدوين كلمات أغنتها و احتفظ بها، مستعينا بما دونه كلما اقتضت الحاجة، لقد حفظ هؤلاء الأبناء الود لهذه العائلة المتماسكة، ونالوا العلم والشرف بل وأصبحوا أصهارا من جديد، فلا ينحل عقد هذه القرابة الطيبة.

"**جمال**":

الابن الثاني لمليكة والذي ولد في وضع استثنائي، فزاد عمق جراح الأم المسكينة وضاعف حريتها، وبدل أن تعاني جفاء طفل واحد أصبحت تتألم لنكران الصغيرين لها، لغيابها الطويل واعتيادهم الجدة "فطيمة" فحق لهما ألا يعرفانها وهما الملاكين البريئين .....

"**العارم**":

وهي أم لأربعة من الأبناء جارة "مليكة" وصديقتها كانت تعاني هي الأخرى من المرض، بقيت مدة طريحة الفراش، تتبادلان الزيارة وتسمع ترانيم صديقتها الحزينة من فمها، فتبكي الاثنتين بكاء المنهزل الذليل أمام العدو القاهر، لينتهي لقاؤهما على أن أكبر خيانة هي الصحة، لم تتمكن العارم من حضور جنازة صديقتها ولا من العزاء، وكانت أول المغادرين بعدها إلى دار البقاء.

4. الأحداث:

بداية المشاكل الصحية ل "سليمة":

إن معاناة المرض وتجربة البعد عن البيت والأبناء هي الحدث أو هي الدافع للكتابة بالنسبة لسليمة: "بدأت تظهر مؤشرات عدوة لصحتي تهدد اطمئناني وراحتي وتكبل تنقلي وحركاتي".[1]

البحث عن عروس لإبراهيم:

أول أحداث الرواية: موضوع زواج "إبراهيم" ويبدأ بقدوم الخالة "عيشة" وتتم مناقشة الموضوع بين كبار العائلة، دون استشارة الصغار، فقد اعتاد ذلك الجيل أن يوافق فقط، وأن لا يكون له رأي في الموضوع أو خيار من أمرهم، بينما على الخاطبة التريث وعدم التسرع ولها كل الوقت.....لا بد أن أم إبراهيم بثت شكواها حيرتها وألمها، فبلوغ إبراهيم العشرين من العمر ليس مصدرا للقلق، لكن المقلق هو عمله الليلي ومكسبه الوفير، فهي تدرك جيدًا بما لا يترك مجالا للشك أن بلاد القبايل تختلف كثيرا عن العرب، وأن كل المطاعم تتوفر على المشروبات الكحولية ولأن ولدها شاب فيتوجب عليها أن تربطه بأسرة ومسؤولية، طبعا هذا

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص 12.

الكلام لم يصل إلى مسامع الرجال، فكل النساء –في ذلك الوقت– تعالجن المشاكل قبل وقوعها وفي هدوء تام .

زواج "مليكة":

إن التحضير لزواج كل فتاة يبدأ من ولادتها، فعلى الرغم من الفقر والبساطة إلا أن الناس يحذوهم الأمل والرجاء، لا يعدو هذا التحضير الفراش والغطاء المصنوعة في البيوت "الحنبل أو الحولي*، والملحفة: وهي غطاء صوفي أبيض اللون أقل سمكا، وبعض الأفرشة خاصة حصير الحلفاء "كل ذلك تنجزه سواعد النساء متمنين الحظ الطيب للفتاة.....

تبدأ مراسيم الزواج بإعداد المقروط وهو حلوى تقليدية اشتهرت بها المنطقة، تقوم بإعدادها بعض النساء الماهرات، وتصفف داخل علبة كرتونية.[1]

حفلة الحناء:

هي حفلة تسبق يوم الزفاف تقوم الأم فيها بدعوة الأقارب والجيران إلى الحضور، وتحرص على أن توصي بعضهن بإحظار "الكانكي".*

تجتمع النسوة في الحوش فهو يتسع لكل الحاضرين، وسط ديكور تزينه المنسوجات الصوفية، وقد عملت بعض المدعوات على إحضار المصابيح عملا بما أوصت به أم العروس، كل النساء تشفق على هذه العائلة فهم أيتام ووالدهم على قيد الحياة، فكلهن يحرصن على إدخال الفرحة على قلوبهم خاصة العروس، ها هي تظهر متوسطة لرفيقاتها مطأطأة رأسها–تلك هي العادات–يسود هذا الحفل غناء البنات وضرب على الدربوكة يتخلل ذلك رقص وتمايل من كل الحضور دون استثناء، إلى أن تبادر إحدى النساء بقولها: (غنوا

* وهو غطاء صوفي سميك، مزين برسوم جميلة تفنن النسوة في إخراجه بأجمل ما يكون، أما تسميته بالحولي فلأن عمله يستغرق قرابة العام.

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص35.

* وهو مصباح تقليدي يملأ بزيت قابل للاشتعال، ويوقد في الظلام.

"وردة بيضاء" لكي ترقص العروس) فتقوم بحياء تتمايل على الأنغام والحلوى تتساقط عليها والأطفال يلتقطونها في مشهد لا يتكرر خارج "ونوغة"، وفي نهاية الحفل توضع الحناء للعروس ولكل راغبة في الخضاب ويبيتون ليلتهم تلك دون أن يغمض لهم جفن حتى يفاجؤهم الشروق[1].

يوم الزفاف:

ظهر يوم الخميس يصل موكب العروس ترانيم وحناجر أمازيغية تصدح خلاله وموجة عارمة من الزغاريت، تتقدم هذا الجمع والدة العريس تتأبط برنسا به كيس من الحلوى، تلبس العروس البرنس وتغطي رأسها فلا يبدو منها شيئا، هنا تذرف العروس الدموع ويتأثر كل الحاضرين، كيف لا ؟وهي تزف دون حضور والدها ومباركته، لكن سرعان ما يبدد الحضور هذا الجو، بأنغام وأهازيج خاصة بزفة العروس:

قدمناك باسم ربي.....قدمناك والخير معاك

بسم الله ربي سيدي..... باركلي في عروس وليدي

لا إله إلا الله هو حسبي.....وصلى الله على محمد خير نبي2

تركب العروس في سيارة خاصة بها مزينة بمناديل تحمل ألوان العلم الوطني، بينما يتكدس الحضور في الشاحنات وبكل أريحية وسرور.....

وينطلق الموكب إلى بيت الزوجية، ومع صعوبة الطريق وبعد المسافة، يتقف الركب مرات عديدة ينزل الرجال ويتحلقون صانعين جوا بهيجا لا تتوانى والدة العريس عن مشاركتهم.

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص37.

نجاح "السعيد" في شهادة السيزيام:

وهو أول فرح يزور عائلة "مليكة بعد زفافها، وقد اقترح عليها الخال زيارة سريعة فابتسمت خجلا، وتفاجأت العائلة بهذه الإطلالة القصيرة والمعبرة، ومع بداية الموسم الدراسي وفد "السعيد" على بيت أخته كغيره من أبناء أعمام إبراهيم، في هذه الفترة أصبحت "مليكة "تشكو متاعب الحمل بعد سنتين من الزفاف...

ولادة "مليكة":

مع بداية الصيف جاء المخاض ليلا و"مليكة "بمفردها استيقظت عجوزها على تأوهاتها، فأيقظت الشيخ "عيسى" كي يحضر القابلة ومعها الجدة "بروكة" وبعد مخاض عسير بدأت الجدة تهلل وتكبر كي تسمع الشيخ، وأطلقت عليه اسم "عبد القادر"[1]

استيقظ سكان الحي على رائحة كعك البيض التقليدي، فاستنتج الجميع أن عروس إبراهيم قد ولدت، في هذه الأثناء قد اكتحلت الوالدة الصغيرة وتزينت ووضعت على رأسها منديلا تدلت منه شراشف تزيدها سحرا وجمالا، فالمهنؤون يفدون في أي وقت، لذلك لا بد من الاستعداد الدائم.

مرض "مليكة":

مع بداية الخريف بدأت مليكة تعاني من إعياء مفاجيء، وذلك مع بلوغ مولودها شهره الخامس، فاقترحوا عليها فطام الصغير لأن الرضاع أنهكها، وتعويض الصغير بالحليب الصناعي، إلا أنها كانت ترتاح مرة وتنتكس مرة أخرى، إلى أن جاءها وجع لم تستطع إخفاءه هذه المرة، كانت تشد على بطنها من جهة المين، وتعض على شفتها من شدة الألم، وتمشي مع الجدار، قدت لها السعدية العون في غياب العجوز[2]

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص46.

[2]– المصدر نفسه، ص29.

زارت "مليكة" رفقة حماتها المستشفى الجواري "مايو"، وهناك فحصها الطبيب، وأدرك أن الوضع خطير، وأن المريضة لا بد أن تخضع لفحوص وتحاليل عديدة، كان يقول ذلك بلسان أمازيغي يستعصي على مليكة فهمه، لكنها تفهم تعابير الوجه التي لم تستطع حماتها إخفاءها ولا حتى شرودها في طريق العودة، فهي لم ترد على من حيوها بل لم تنتبه لهم – وهذا ليس من عادتها –

انتشر خبر مرضها الغريب والمفاجيء بين الجيران فلا يكاد يخلو البيت من الزوار الذين تتكرر أسئلتهم وتتشابه مما يشعرها بالضياع 1 بعدما وجدت المسكينة زوجا عطوفا، وولدا تسلي به وحدتها وعائلة رائعة، ها هو القدر يمتحنها مجددا بعدما اقتلعها من منبتها واستنبتها في أرض غير أرها، ويقرر عزلها عن الكل ويرمي بها في وسط تجهل معالمه ...

استعدادات الإقامة في المستشفى:

لقد جربت البنت ليلة الحناء وليلة الزفاف وخبرت السعادة والفرح والجمال، وفي هذه المرة درس جديد من دروس الحياة، كانت والدتها تعد لها متاعها، أمّا هي فلا تقوى على ترك ابنها في مهده ولا تشيح ببصرها عنه برهة واحدة، هي لا تريد للنهار أن يطلع ذلك اليوم لأنه ينبئ بالبعد عمن ألفت، يحاول الكل بعث الأمل فيها غير أن روحها البريئة تنبئها بأن الانكسار لا يجبر، سلة صغيرة كانت قد صنعتها يوما ما من الحلفاء وزينتها لم تظن أنها ستحمل عدة المستشفى: صابون معطر، وكحلة ومنشفة صغيرة، وسواك، وزجاجة عطر ليس إلّا فكل شيء بسيط بل ويمكن تشاركه مع من لا يملك شيئا، لم تنم تلك الليلة، ولم يغمض لها جفن ليس خوفا على نفسها لكن وحشة لمن خلفته وراءها، بكت تلك الليلة بدموع غزيرة، لم تظن يوما أنها ستبكيها، بل اعتقدت أنها ودعت البكاء، وتخلصت من آهات البعد التي جرعها لها ولإخوتها والدها الغائب منذ سنين، ظنت لوهلة أن القدر الذي حرمها قد تصالح معها وعوضها، عن الوالد بزوج طيب، وطفل جميل وعائلة كريمة و"سيدي السعيد" لكن

لسان حالها اليوم يقول: [ينخدع اللي يامن الدنيا بنت الكلب]تعطي بسخاء وتسلب بجفاء.....[1]

العودة من المستشفى:

لقد مضى على مكوثها في المستشفى أكثر من خمسة أشهر، وقد نجحت العملية، وتقرر أخيرا السماح لها بالمغادرة لكن مع الحذر الشديد من كل ما يعرض المريضة للخطر، تم أخذ كل الاحتياطات إلا أن المكتوب على الجبين لا بد أن تراه العين.

حمل في غير وقته:

"مليكة "في فترة نقاهة وهي تخضع لمراقبة طبية شهرية، على أمل الشفاء التّام حتى أنها لا تحمل ولدها كي لا تتأثر جراحها خاصة وأنه ينزعج ويتلوى باكيا من ذلك، لك سرعان ما لاحظ الجميع بعض التغير في عاداتها، فقد زهدت في الفطور الصباحي منذ أيام، كما أنها تردد مسرعة على المغسل صباحا، لقد أكدت زيارة الطبيب أن هذه المتاعب ليست إلا حملا آخر، غير أن الطبيب لم يخف انزعاجه من وضع المريضة، لكن لا حيلة للنساء في ذلك الوقت.

عودة المتاعب الصحية:

بعد ولادة الطفل أصبحت "مليكة" تفرق جيدا بين آلام مرضها وبين ألم الرضاعة، لقد كانت تكابر وتخفي الأمر حتى عن نفسها، وقد طاب لها المقام مع مولودها، ولا تريد أن تكرر ما حدث لها مع "عبد القادر"، لكن إلى متى وهي تدرك جيّدا أن الكل منشغل ولا يتسنى لأحد مرافقة المريض فما بالك بالزيارة .....

[1]– سليمة رقيق، فيض وجع وحنين، ص57.

مجددا في المستشفى:

رافق "عمي السعيد" "مليكة" إلى المستشفى، تركت صغيرها وقد بلغ ثلاثة أشهر، لقد تقرر إجراء عملية مجددا، فهي تعاني من كيس في الكبد، أصبح الكل يعرف "مليكة "فهي تغني لها ولغيرها فتبكي كل واحدة وجعها ثم يفترقن، زيارات قليلة وفتور في العلاقة وانشغال وبعد كل هذا يبعث على عدم التمسك بالحياة وكأن الموت هو الخلاص لمن كثر ألمه.

وفاة مليكة:

لقد تماثلت "مليكة "للشفاء نوعا ما، وعادت إلى منزلها شوقا لولدين لم يعرفا بعد سبب اقترابها منهما وتوددها، فيعلو صراخهما وكأنهما يضربان، فيزيد معاناتها ووجعها، أصبحت تشارك في بعض الأعمال لقد رغبت في أن تعد العشاء تلك الليلة، بعدما جهزت الحماة الفول اليابس، والبنت عملت على فتل العيش، حضّرت الطعام وقدمته في جفنة كبيرة للرجال، وأخرى للنساء وأثناء ذلك شرقت "مليكة" فأربكت الجميع، وبدا لهم خروج بعض الدم من فمها، لكن لا حيلة لهم حتى الصباح، كانت مستلقية على ظهرها طوال الليل، ولما أرادت القيام هوت فاحتظنتها "سعدية" وصرخت مليكة ماتت، ماتت مليكة، وحمل نعشها في موكب لا صوت يعلو على البكاء والأنين، لا بارود ولا زغاريت، إلى ملوزة هكذا جرت العادة يغيب الأبناء لكن نقبر حيث نولد .

5. اللغة:

وظفت الكاتبة اللغة الفصحى البسيطة المفهومة الخالية من الغموض والغرابة، خدمت الموضوع وأوضحت أفكاره ومحتواه، إلا أننا نجد بعض الكلمات العامية والتي نقلتها الكاتبة بأمانة، والتي وظفت بعض الكلمات الفرنسية على أنها كلمات محلية يتكلمها المجتمع ويفهما ومنها: فرملية، الطاكسي، سبيطار، لافيزيت، لانبيلانص، ايباري، سيروم، دراواتو، لبلوك، دوسيها، الباراسيون، الريدو، كما نجد بعض الكلمات العامية: القرّة، مكرية، زوالية، الدوح،

انّوح، السيمة، الطبة، تعيزيب، غرنوق، سرحوني، تتلحف، قنطة، انصد، الممو، لايموا، الهانة، الكانكي.

6. مالم تقله المؤلفة في الرواية:

لقد كان لعم "سليمة "الفضل في شفائها وربما حتى في طول عمرها، لكن تيقن أيها الإنسان: "بأن عملك الخيّر سوف يعود إليك بطريقة أو بأخرى"، لقد اعتنى بها وهو يظن أنه يقوم مقام أخيه الغائب، لكنه كان يرتب بيته من جديد، وقدر الله أن تكون سليمة زوجة لرشيد، وإبراهيم يتزوج مرة أخرى، وينجب أبناء آخرين، ويخطفه الموت قبل أن يطمئن على أحدهم، ويرحل الجدين تاركين حملا ثقيلا على الأحياء، يتسلل طيف الفرح إلى البيت بزواج "عبد القادر وجمال" بعد ها فجعت العائلة بوفاة زوجة إبراهيم الثانية، وقبل أن تفرح هي الأخرى، لتتقلد سليمة مع ابن عمها هذا الحمل الثقيل مجددا وتشرف على إكمال الرسالة وأداء الأمانة ..... بمباركة "عمي السعيد" وزوجته وقبل أن تتفرغ لعائلتها، يباغتها الوجع والهواجس والحيرة، ولعل هذا الشعور يرافق كل أم، يرافق كل أب، يرافق كل حي، يدرك أنه لا يزال بعيدا عن تحقيق أهدافه المتعلقة خاصة بالأبناء.[1]

[1] – سليمة رقيق: محادثة نصية "ماسنجر"، 2023/05/12م، 15: 16h

خاتمة

خاتمة:

من خلال الدراسة التي قمنا بها، والتي يتمحور موضوعها حول: فنيات السرد وجماليات التلقي في رواية: "فيض وجع وحنين" خلصنا فيها إلى جملة من النتائج على مدار فصلين، قد تبدو غير كافية أو غير مقنعة وربما غير مرضية، إلا أن هذه الانطباعات تلقي بها نظرية التلقي، وذلك من خلال تصنيفها للقراء، وهذه أولى بواكير هذا البحث، كما أن النتائج هي إجابات عن الإشكاليات التي تم طرحها في بداية هذه الدراسة:

- ✓ أن للنص الأدبي سلطة على القارئ، يرهنه، يقوده، يشحنه، يقويه، يدفعه .....بحكم التأثر والتأثير بروح النص، وإيديولوجية القارئ.
- ✓ أن السرد فنون وأساليب تأسر المتلقي فيدور في فلك الموضوع، متذوقا في المقام الأول، وناقدا في مرحلة متقدمة، ومنتجا منافسا مؤيدا لنفس الفكرة أو معارضا لها.
- ✓ أن لنظرية التلقي امتدادات وتأصيلات في التراث العربي، ولموضوع التلقي أهمية بالغة ومكانة جليلة.
- ✓ لنظرية التلقي مكانة جليلة في الخطاب الإنساني ومعاناة الأفراد.
- ✓ نظرية التلقي لا تبيح للقارئ القفز على النص، والإفراط في الذاتية.
- ✓ نظرية التلقي تدرب القارئ على القراءة الناقدة والواعية، وترتقي به إلى مستوى الإبداع.
- ✓ الألم شعور يوحد الإنسانية ويجعلها تتناغم على إيقاع واحد.
- ✓ أكبر خيانة للإنسان وأكبر خذلان، هو خيانة الصحة للجسد، وما عداها يهون ويمكن تداركه.
- ✓ أن ما وصلنا إليه من فنيات السرد ودورها في عملية البناء الروائي تجعلنا نقف على حقيقة واضحة هي: أن الرواية الجزائرية قادرة على استيعاب مسارات زمنية كثيرة.

- ✓ أن المؤلفة نجحت إلى حد بعيد في استعمال تقنية الرجوع إلى الماضي، أثناء الزمن الحاضر للسرد، وانتقلت إلى المستقبل في تلك الأثناء، وأسرعت في سردها كما أبطأت فيه، فأجادت الوقوف وأحسنت الوصف.
- ✓ أما المكان فلم يكن مجرد إطار هندسي، بل خضع لرؤية نقلته من مستواه المجرد إلى مستوى آخر مؤنس وجميل يعج بالحياة، ولم يكن خلفية ميتة باهتة الملامح.
- ✓ أما الشخصيات فقد ركزت على الشخصية البطلة، بينما باقي الشخصيات تساوت من حيث الحضور والغياب، كما نجد استعمال الضمير في بناء النص، تنوع حسب مقتضى الحال.
- ✓ أما عن دلالة العنوان: "فيض وجع وحنين" الجملة الإسمية تصف مشاركة المؤلفة مع بطلة الرواية في المعاناة، الألم، والذكريات.
- ✓ رأت المؤلفة أن تضغط عنوانها فتنتج شفرة مركزة تلخص فيها عملها" فيض وجع وحنين" كبسولة بثلاثة أذواق، فتخبر القارئ عن كل فيض أو سيل أو تدفق، وعن كل وجع وألم، وعن كل حنين وشوق، لتترك المجال للخيال واسعا، مشاركة للمتلقي ملء كل بياض.
- ✓ اللغة جاءت بسيطة يفهمها القارئ والسامع، غلبت الفصحى على عموم النص، لكنها من حين إلى آخر تتسلل ببراعة إلى المعجم المحلي، فلا تقذفنا ولكن تتحفنا ببعض شامات اللغة، فزادت النص ارتباطا ببيئته.
- ✓ الرواية وثيقة تاريخية واجتماعية وفنية، فهي تقدم صورة من عمق مجتمع، نجح في تعايشه عبر ربوع واسعة من الوطن، كي يشكل مزيجا متجانسا لا يمكن أن يمايز الدخيل بينهم أي اختلاف يذكر.
- ✓ براعة المؤلفة في نقلها لوقائع الأحداث، أُثرت منجزها السردي في قالب فني، جذب القارئ وأبعده عن الملل والسأم والذهول، حتى أنها أوقدت المشاعر وأبكت العيون، أضف إلى ذلك تخلصها من الرتابة والتقليد.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر:

1-سليمة رقيق: فيض وجع وحنين، أدليس للنشر والترجمة والتصميم، ط1، الجزائر، 2023.

المراجع:

1-أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، دت، دط.

2-أبو القاسم سعد الله، الحرة الوطنية 1930م، دار الأدب، بيروت، دط، 1969م.

3-أمال حليم الصراف، موجز في علم الجمال، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، 2006م.

4- أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي لدار العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996.

5-حمود محمد، مكونات القراءة المنهجية للنصوص، ط1، دار الثقافة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1988م.

6-عبد المالك مرتاض، النص الأدبي من أين وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

7-عبد القادر شرشال، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، منشورات دار القدس العربي، وهران، دط، 2009م.

8-عبد القادر سالم، السرد وامتدادات الحكاية، قراءة في نصوص جزائرية وعربية معاصرة، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2009م.

9-عبد الله إبراهيم، السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992م.

10- فيصل عياش، تاريخ الجزائر الحديثة دراسة سسيولوجية، مراجعة خليل أحمد خليل، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، دت.

11-شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة بيروت، ط2، 1986م.

12- محمد برادة، الخطاب الروائي: ميخائيل باختين، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1985م.

13-محمد فؤاد عبد الباقي: صحيح مسلم للإمام مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1.

14-شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، ط1، دار فارس، عمان، 1994م.

15-واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائريين، الجزائر، 1956م.

16-وليد قصاب، الحداثة في الشعر العربي والمعاصر، الإمارات العربية، دبي، ط1، دت.

17-وفاء محمد إبراهيم، علم الجمال قضايا تاريخية ومعاصرة، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1991م.

المعاجم:

1-أحمد حسن الزيات، إبراهيم مصطفى، حاجي عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، تركية، 2005م.

2-حور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، دط، 1998م.

3-علي بن حسن الهنائي الأزمي، المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، ط3، 1991م.

4-ابن منظور، لسان العرب، بيروت، ط1، مجلد14، 1995م.

5-مرتضى الزيدي، تاج العروس، در صادر، بيروت، ج2، 1995م.

6-مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

7-محمد النونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ج1.

المجلات:

1-حمود عبد العزيز، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، مجلة عالم المعرفة، العدد232، الكويت1978 م.

2-زياد هدى، سكينة قدور، لغة الرواية الجزائرية هاجس التعريب وهوس التجريب والتغريب، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد11، الجزائر، 2023.

3-صالح مفقودة، نشأة الرواية العربية في الجزائر، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد2، 2005م.

الأطروحات:

1-السيد حسين محمد، فاعلية برنامج مقترح قائم على نظرية التلقي في تنمية مهارات القراءة الناقدة لدى التلاميذ المتفوقين بالمرحلة الإعدادية العامة، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد حسن المرسي، جامعة المنصورة، كلية التربية، دمياط، مصر، 2007م

الملحقات:

ترجمة المؤلفة:

من هي سليمة رقيق؟ مؤلفة الرواية كاتبة هاوية، من مواليد1971 [1]هذا ما تقوله الوثائق، لكن التاريخ يقول أن منطقة ونوغة لم تكن تحفل كثيرا بالتوثيق، لطالما صحب الوالد زوجته ومجموعة من الأبناء، وكثير من العائلات إلى المحكمة المدنية كي يثبتوا الزواج وميلاد الأبناء!

تعلمت كغيرها في المدرسة المركزية الوحيدة في المنطقة، إلا أنها لم نشيطة كما يجب، ومرد ذلك كما تقول الكاتبة: "قلة المتابعة فالوالد في المهجر، والوالدة كثيرة الانشغال، فهي خياطة وترجوا من يعينها في عمل البيت "[2]

غير أن نفسها كان طويلا ولم تغادر مقاعد الدراسة إلا بعد الأولى ثانوي تخصص العوم الإسلامية–آن ذاك–تلك أيضا تقليد درج عليه معظم أبناء المنطقة، "التعليم للصغيرات" أما الكبيرات فمكانهن البيت.

غادرت سليمة المدرسة لكنها لم تغادر الدراسة، فانكبت على قراءة كل ما وقع بين أيدها من كتب ومجلات، ساعدها على ذلك زوجها المثقف، غير أنها ركزت على تتبع خطوات" الكاتب اللبناني أمين معلوف، والكاتب المصري مصطف محمود العقاد"[3]

لتصنع نفسها بنفسها كنحلة نشيطة، لتخرج أجمل ما فيها: "فيض وجع وحنين"، و"رسائل الحنين على ضفاف نهر السين".

[1] – المصدر: سليمة رقيق.

[2] – المصدر نفسه.

[3] – المصدر نفسه.

وقد اتخذت –أنا وزميلتي– من الرواية الأولى موضوعا لرسالتنا، وسندرج تلخيصا لمحتواها ضمن هذه الصفحات.

وكعادة كل ربة بيت محترمة لنفسها، اختارت سليمة لنفسها لقب(كنية)"تل التراب" كي تفصح عن بعض نصوصها المتفرقة، طلبا لرأي القارئ والناقد معا، فكان لها ما أرادت ووصلها دعم كبير وتشجيع على النشر، كل هذا ومعظم القراء لا يعرفون شخصها ولا مستواها، أما الآن فهي ناشطة في: (جمعية التراث الشعبي الحضني بالمسيلة، وعضوة ببيت الشعر الجزائري بالمسيلة، وعضوة بنادي الأدب أنس بدار الثقافة قنفود الحملاوي.)

ولأن الروابط بين الناس كثيرة، تتجاوز الجنس والدم والرحم والقربى ...، إنها رابطة الألم رابطة الوجع، رابطة الإحساس بالآخر، نتعاطف مع الكاتبة فيما ذهبت إليه" إنها تتشارك وبطلة الرواية معاناة المرض، والبعد عن البيت والأبناء، إنها خيانة الصحة شكوناها جميعا لخالقها".

ملخص الرواية:

إن موضوع الرواية الأساسي هو: الأغنية الشعبية التي تحمل عنوان "يا الصحة يا الصحة يا عدوة مولاها "والتي صدح بها كثير من المغنيين في ربوع كل الجزائر، وقد يجهل الكثيرون مؤلفها، لكن معظم من يسمعها ترحل به بعيدا، يوم لم يكن يشكو وجعا، إلى ذكريات الماضي البسيط والجميل، وهذا ما دفع الكاتبة إلى إنتاج هذه الرواية، ا لتي ترحل بنا حينا إلى أروقة المستشفى وغرفه الكئيبة، وأحيانا إلى الذكريات الجميلة، وعبق المكان والزمان والإنسان وإحسان الإنسان إلى الإنسان وعظيم الأحاسيس والمشاعر بين كل الناس.

وكيف لممرضة تجلس بجانب مريضتها فتسمع منها وتدون كل ما سمعته؟ فيسمع به القاصي والداني، إن الإحساس العميق والمشاعر لا تكاد تفارق قارئ هذه الصفحات ...وكأن الكاتبة تغمس قلمها في محبرة قلبها فتخرج كل كلماتها لتلامس شغاف قلب القارئ،

أو ربما هكذا تخيلت، إن نظرة التفاؤل لا تفارق النص، فكل القديم جميل ويشدنا إليه الحنين وكأن الكاتبة تجد أنسها في أيام زمان، فما عادت أنغام اليوم تطربها، ولا أحداث الحاضر ومشاغله تؤنسها.

كما تطرقت لاغتراب أهل ونوغة في ربوع الشرق بحثا عن لقمة العيش، وكذا استقرار بعضهم هناك، خاصة في بلاد القبائل، وكيف طاب لبغضهم المقام، عاملين بالمثل الشعبي "البلاد لي ربحت فيها أبقى فيها "وبعضهم لم يستقر، إلا أنه ينقل في موسم جني الزيتون، وكيف أن هؤلاء يعيشون هناك، بينما يوصون أهلهم بدفن جثامينهم في مسقط رؤوسهم!

وفي الفصل الثاني تطرقت الكاتبة إلى رحلتها مع العلاج، وكيف أن هذه الأغنية أضحت فصلا من فصول حياة الكاتبة، تخيم بظلالها على حياتها، تمني النفس وترجو الشفاء، وتعتصر بالألم، وتنتصر بالأمل، وتزرعه في كل نفس خيم عليها المرض ضيفا ثقيلا يأبى الهزيمة، يزداد قوة كلما عزل المريض عن العالم، وينهزم كلما كسر المريض الحواجز بينه وبين العالم.

وارتأت أن تختم باكورة أعمالها الفنية بأبيات طالما شغلت ذهنها، فسألت عنها وظلت تتثبت منها بيتا بيتا، وكلمة كلمة، ودمعة دمعة، كي تضيء دربها الذي خيم عليه الضيف الثقيل، كانت تستعذب ألحانها طالما أن ألحان عصرنا تسبب لها الصداع والسأم، فها هي تتشاركها مع القراء ولكل ذوق، ولكل ميل، ولكل هوى.....

لا يسعنا إلا الدعاء لكل مريض بالشفاء، ولكل غريب بالعودة، ولكل حي بالسعادة والزيادة، ولكل ميت بالرحمة والمغفرة.

ملخص الرواية باللغة الأجنبية والكلمات المفتاحية

فنيات السرد وجماليات التلقي في رواية: "فيض وجع وحنين"

Synopsis:

The main theme of the novel is: the popular song entitled "O health, health, O enemy of its master", which was resounded by many singers throughout Algeria, and many may be ignorant of its author, but most of those who hear it take him away, the day he did not complain of pain, to the memories of the simple and beautiful past, and this is what prompted the writer to produce this novel, which sometimes takes us to the corridors of the hospital and its gloomy rooms, and sometimes to the beautiful memories, and the fragrance of space, time and man And the benevolence of man to man and great feelings and feelings among all people.

How can a nurse sit next to her patient and listen to her and write down everything she has heard? Heard far and wide, the deep sense and feelings hardly leave the reader of these pages ... As if the writer dipped her pen in the inkwell of her heart comes out all her words to touch the passion of the heart of the reader, or perhaps so imagined, the look of optimism does not leave the text, all the old beautiful and pulls us to nostalgia as if the writer finds Ansaha in the days of time, no longer tunes today Ttarbha, nor the events of the present and its concerns humanize.

She also touched on the alienation of the people of Nougat throughout the East in search of a living, as well as the settlement of some of them there, especially in the country of the tribes, and how good for their hatred of the place, working with the popular proverb "the country I won

where I kept it" and some of them did not settle, but it decreases in the season of harvesting olives, and how these live there, while recommending their families to bury their bodies in their hometown!

In the second chapter, the writer touched on her journey with treatment, and how this song has become a chapter of the writer's life, overshadowing her life, wishing the soul and hoping for healing, and squeezing pain, and triumphing with hope, and planting it in every breath overshadowed by the disease as a heavy guest who refuses defeat, getting stronger whenever the patient is isolated from the world, and defeated whenever the patient breaks the barriers between him and the world.

She decided to conclude her first artwork with verses that have long occupied her mind, so she asked about them and kept verifying them house by house, word by word, tear tear, to illuminate her path, which was overshadowed by the heavy guest, she was tormented by her melodies as long as the melodies of our time cause her headache and boredom, here she shares with readers and for every taste, for every mile, and for every whim.....

Summary of the novel in foreign language and keywords:

The techniques of narration and the aesthetics of reception in the novel: "The abundance of pain and nostalgia"

الفهرس

فهرس المحتويات

كلمة شكر و تقدير 3
إهداء 5
مقدمة: ..... أ
الفصل الأول: دراسة نظرية حول البنية الفنية والسوّدية وجماليات التلقي 4
1. مفهوم البنية الفنية السردية: 6
1-1 مفهوم البنية الفنية(فنيات أوفن): 7
1-2 مفهوم السرد(narration) 7
1-3 مفهوم الرواية(diegese): 9
2. الرواية الجزائرية: 11
2-1 ظروف نشأة الرواية الجزائرية: 11
3. الجمال والجمالية: 17
3-2 الجمال والجمالية عند العرب: 19
3-3 التلقي: 23
4-1 أفق التوقع: 26
4-2 المسافة الجمالية: 26
4-3 الاستجابة: 27
4-4 التغييب: 27
4-5 التغيير: 27
4-6 التجربة الجمالية وشرط المتعة: 27
5- أنواع القراء عند رواد نظرية التلقي: 28
5-1 القارىء المثالي: 28
5-2 القارىء المعاصر: 29
5-3 القارىء المقصود (المستهدف): 29
5-4 القاىء الجامع (النموذجي): 29
5-5 القارىء الضمني: 29
الفصل الثاني: دراسة تطبيقية للرواية من حيث: 33

الفهرس

1. الزمان: 34
2. المكان: 39
3. الشخصيات: 44
4. الأحداث: 54
5. اللغة: 60
6. مالم تقله المؤلفة في الرواية: 61

خاتمة: 63

قائمة المصادر والمراجع: 66

الملحقات: 70

ملخص الرواية: 71

الفهرس 75

فهرس المحتويات 76

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على فنيات السرد وتقنياته، وكذا جماليات التلقي في روائية "فيض وجع وحنين"ومن خلالها كشف مدى التناغم الحاصل بين المؤلف والنص والمتلقي، الأقطاب الثلاثة لكل عمل فني والتي أفرزت دراسة تطبيقية حول الرواية، -موضوع البحث-من خلال: الزمان، المكان، الشخصيات، الحدث، اللغة، مالم تقله المؤلفة في الرواية، دراسة وصفية تحليلية.

الكلمات المفتاحية: فنيات السرد، جماليات التلقي، فيض وجع وحنين.

Summary

This study seeks to shed light on the narrative techniques and techniques, as well as the aesthetics of receiving in the novel "iceberg of pain and nostalgia" and through it to reveal the extent of harmony between the author, the text and the recipient, the three poles of each work of art, which resulted in an applied study about the novel-the subject of research-through: Time, Place, characters, event, language, unless the author says in the novel, descriptive analytical study.

Key words: narrative techniques, aesthetics of reception, overflow of soreness and nostalgia.